



مركز الملك عبد العزيز  
للحوار الوطني

صَلَّى اللهُ  
عَلَيْهِ  
وَسَلَّمَ

# حوار الرسول بلاغه وبلوغ

د. مها بنت محمد خضر

رسائل  
في الحوار

06 |





# حوار الرسول صلى الله عليه وسلم بلاغه وبلوغ

د. مها بنت محمد خضر

٢٠١٠م / ١٤٣١هـ

ح

مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني، ١٤٣١هـ  
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.  
مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني  
حوار الرسول ﷺ بلاغة وبلوغ  
مها بنت محمد خضر ، الرياض، ط ١، ١٤٣١هـ  
٤٨ ص: ١٧ × ٢١ سم.  
ردمك: ٧-٥-١٢٧٠٩-٦٠٣-٩٧٨  
١ - السيرة النبوية      ٢ - رسائل الحوار  
ديوي: ٢٣٩      ١٤٣١/٣٣٢

الطبعة الخامسة، ١٤٣٨هـ  
رقم الإيداع: ١٤٣١/٣٣٢  
ردمك: ٧-٥-١٢٧٠٩-٦٠٣-٩٧٨

جميع حقوق الطبع محفوظة  
مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني  
الرياض، ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م  
ص.ب. ٨٩٨٦٦ ، الرياض ١١٦٩٢  
البريد الإلكتروني: [rs@kacnd.org](mailto:rs@kacnd.org)  
[www.kacnd.org](http://www.kacnd.org)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المشرف العام

معالي الأستاذ: فيصل بن عبدالرحمن بن معمر

## نائب المشرف العام

الدكتور: فهد بن سلطان السلطان

## هيئة التحرير

رئيساً	أ. د. عبدالله بن إبراهيم الطريقي
عضواً	أ. د. عبدالله بن حسين الخليفة
عضواً	أ. د. محمد بن عبدالعزيز الحيزان
عضواً	د. خالد بن عبد الكريم البكر
عضواً	د. محمد بن عبدالله الشويعر
عضواً	د. فاطمة بنت محمد القرني
عضواً	د. نوال بنت عبدالعزيز العيد
عضواً	د. وفاء بنت حمد التويجري
عضواً	أ. فاطمة بنت فيصل العتيبي

## إدارة التحرير

أ. متعب بن سلمان الشمري
أ. عبدالله بن ناصر الخريف
أ. خلود بنت محمد الجبران
أ. لطيفة بنت سالم المنيع
أ. أسماء بنت عبدالله الواحد

## المحتويات

الصفحة	الموضوع
١١	حوار الرسول ﷺ بلاغة وبلوغ
١٩	• تفهم عقيدة المحاور وقيمه الخاصة الراسخة في وجدانه
٢٠	• اختيار الزمان والمكان المناسبين
٢٣	• نبذ العنصرية في الحوار
٢٣	• نبذ التعصب في الرأي
٢٥	• إيجاد مواطن الوحدة والتلاقي في الأحكام مع الآخر
٤٣	الخاتمة





### تصدير

الحمد لله حمداً تقتضيه نعمه وآلاؤه ، والصلوات والطيبات والتسليمات على النبي المختار، محمد وآله وصحبه أجمعين . أما بعد :

جاء في أهداف تأسيس مركز الملك عبد العزيز للحوار الوطني ترسيخ مفهوم الحوار وسلوكياته في المجتمع من خلال عدة برامج منها: اللقاءات، والندوات، والتدريب، والدراسات والبحوث .

ومن هنا عُني المركز بنشر كثير من المطبوعات التي تنسجم مع رسالته ، وتحقق أهدافه .

وسلسلة رسائل في الحوار هي واحدة من المشروعات الفكرية التي أطلقها المركز، لتستهدف شرائح المجتمع كافة، ولذا روعي فيها سهولة العبارة ، ووضوح المعنى . ولما ينطوي عليه هذا المشروع من أبعاد ثقافية وفكرية نبيلة تلقى هذه الرسائل تفاعلاً إيجابياً من لدن الباحثين، حسب تنوع تخصصاتهم، الأمر الذي يدفع المركز إلى مزيد من الاهتمام بمثل هذه المطبوعات ، ويضاعف - في الوقت نفسه - مسؤولياته تجاه المجتمع ، في ظل دعم الدولة لجهود المركز ونشاطاته .

وهذا الكتاب الذي نضعه بين يدي القارئ هو أحد ثمار هذه السلسلة، والذي يحمل عنوان : ( حوار الرسول صلى الله عليه وسلم بلاغة وبلوغ ) .

فللكاتب منا جزيل الدعاء والثناء، وللقارئ الكريم وافر الود والتقدير

والله من وراء القصد ..  
هيئة التحرير



حوار الرسول صلى الله  
عليه  
وسلم  
بلاغة وبلوغ

## حوار الرسول صلى الله عليه وسلم بلاغة وبلوغ

يمثل الحوار عصب الحياة الإنسانية منذ بدء الخليقة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ويظل هو المنزع الأول لكل البشرية بشتى اللغات، ومن خلاله يكون التعرف إلى أهواء الآخر وميوله النفسية؛ فقد قالت الحكمة الشهيرة: " تكلم حتى أعرفك " لذا يسعى الجميع إلى إعداد الوسيلة الأولى للتواصل وتهذيبها على أحسن وجه، وتعمل الدراسات الاجتماعية الحديثة على الكشف عن أفضل أنماط إدارة الحوار؛ لإنجاح العلاقات البشرية، وإيجاد فرص أقوى للتواصل في عالم تشابكت فيه العلاقات، وارتبطت المصالح، وأصبح من المرفوض، بل من المستحيل أن ينعزل جزء من الكون عن الآخر، وبات قبول الآخر والانفتاح الفكري عليه ضرورة للتعايش؛ لذا كان واجباً علينا أن نبحث عن صور مثلى نفتدي بها ونسير على هديها، وإذا بديننا الحنيف ورسالة نبينا السمحة تحتوي على أفضل نماذج يمكن أن يهتدي بها البشر في كل زمان و مكان . وقد اخترت نماذج من حوار رسول الله صلى الله عليه وسلم في شتى مراحل نبوته تكشف لنا عن طريقة تواصله مع الآخر ، وقد أثبتت نجاعتها بدليل انتشار الإسلام في مدى زمني قصير، بما يمتلك من وسائل الإقناع التي تتواءم مع الفكر والمنطق .

لقد بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم دعوته بالحوار حينما وقف على الصفا في وضح النهار مستنداً إلى الثقة التي رسخت في نفوس أهل مكة تجاهه ؛ فقد علموه الصادق الأمين ولم يعهدوا عليه كذباً ولا خداعاً ؛ من هذا المنطلق دعا مجتمعه إلى فتح حوار هز التقاليد هزاً ، ومهد السبيل للتفكير في هذا الأمر الجديد .

كما واجه تصدي قريش لتلك الدعوة بالحوار حينما جاء " عتبة بن ربيعة"<sup>(١)</sup>

(١) عتبة بن ربيعة بن شمس « ٢٠٠ هـ - ... ٦٢٤ م » ، أبو الوليد، كبير قريش وأحد ساداتها في الجاهلية ؛ كان موصوفاً بالرأي والحلم والفضل...نشأ يتيماً في حجر حرب بن أمية ، وأول ما عرف عنه توسطه في حرب الفجار ... وكان يقال لم يسد قريش مملق إلا عتبة وأبو طالب فإنهما سادا بغير مال . أدرك الإسلام ، وطفى فشهد بدرًا مع المشركين ... وقاتل قتالاً شديداً ؛ فأحاط به علي بن أبي طالب والحزمة وعبيدة بن الحارث فقتلوه « خير الدين الزركلي - الأعلام - دار العلم للملايين - ط/١١ المجلد الرابع ج/٤ ص ٢٠٠ .

مبعوثاً من قريش مقدماً له عروضها قائلاً : يَا ابْنَ أَخِي، إِنَّكَ مِنَّا حَيْثُ قَدَ عَلِمْتَ مِنَ السُّلْطَةِ فِي الْعَشِيرَةِ، وَالْمَكَانِ فِي النَّسَبِ، وَإِنَّكَ قَدْ أَتَيْتَ قَوْمَكَ بِأَمْرٍ عَظِيمٍ فَرَقَّتْ بِهِ جَمَاعَتُهُمْ وَسَفَّهَتْ بِهِ أَحْلَامَهُمْ وَعَبَّتْ بِهِ آلِهَتَهُمْ وَدِينَهُمْ وَكَفَّرَتْ بِهِ مَنْ مَضَى مِنْ آبَائِهِمْ، فَاسْمَعْ مِنِّي أَعْرَضَ عَلَيْكَ أُمُورًا تَنْظُرُ فِيهَا لَعَلَّكَ تَقْبَلُ مِنْهَا بَعْضَهَا. قَالَ : فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : قُلْ يَا أَبَا الْوَلِيدِ، أَسْمَعْ؛ قَالَ : يَا ابْنَ أَخِي، إِنْ كُنْتُ إِذَا تَرِيدُ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَا لَا جَمْعَنَا لَكَ مِنْ أَمْوَالِنَا حَتَّى تَكُونَ أَكْثَرَنَا مَالًا، وَإِنْ كُنْتُ تَرِيدُ بِهِ شَرَفًا سَوَدْنَاكَ عَلَيْنَا، حَتَّى لَا نَقْطَعَ أَمْرًا دُونَكَ، وَإِنْ كُنْتُ تَرِيدُ بِهِ مُلْكًا مَلَكَكَ عَلَيْنَا؛ وَإِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رُئِيًا تَرَاهُ لَا تَسْتَطِيعُ رَدَّهُ عَن نَفْسِكَ، طَلَبْنَا لَكَ الطُّبَّ، وَبَدَلْنَا فِيهِ أَمْوَالِنَا حَتَّى نُبْرِئَكَ مِنْهُ، فَإِنَّهُ رُبَّمَا غَلَبَ التَّابِعَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يَدَاوِيَ مِنْهُ أَوْ كَمَا قَالَ لَهُ .

حَتَّى إِذَا فَرَغَ عُنْتَهُ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَسْتَمِعُ مِنْهُ، قَالَ : أَقَدَ فَرَعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ ؟ قَالَ : نَعَمْ، قَالَ : فَاسْمَعْ مِنِّي ؛ قَالَ : أَفْعَلُ ؛ فَقَالَ :

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

{ حم ، تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ، بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ، وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَاعْمَلْ إِنَّا نَامِلُونَ } (١) .

ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهَا يَفْرُؤُهَا عَلَيْهِ . فَلَمَّا سَمِعَهَا مِنْهُ عُنْتَهُ ، أَنْصَتَ لَهَا ، وَأَلْقَى يَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِدًا عَلَيْهِمَا يَسْمَعُ مِنْهُ ؛ ثُمَّ انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى السُّجْدَةِ مِنْهَا ، فَسَجَدَ ثُمَّ قَالَ : قَدْ سَمِعْتُ يَا أَبَا الْوَلِيدِ مَا سَمِعْتُ ، فَأَنْتَ وَذَلِكَ (٢) .

لقد استمع رسول الله صلى الله عليه وسلم لعتبة حتى نفذ حوارته ثم ناداه

(٢) سورة فصلت ، آية : ١-٥ .

(٣) ابن هشام - السيرة النبوية - دار الفكر - القاهرة - ج ١ ، ص ٣٥٥ .

بما يحب العرب: "يا أبا الوليد" ليسمعه قرآناً يجسد موقفهم ويصف ما في قلوبهم قبل أن يخرج من ألسنتهم، متحدياً من جانب آخر بلاغة أقوالهم؛ فوصلت الرسالة إلى عتبة بن ربيعة كأوضح ما تكون وهو ما جعله يعود إلى قومه قائلاً: «قَدْ سَمِعْتُ قَوْلًا وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ مِثْلَهُ قَطُّ، وَاللَّهِ مَا هُوَ بِالشَّعْرِ، وَلَا بِالسُّحْرِ، وَلَا بِالْكَهَانَةِ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَطِيعُونِي وَأَجْعَلُوا بِي، وَخَلُوا بَيْنَ هَذَا الرَّجُلِ وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ فَأَعْتَزِلُوهُ، فَوَاللَّهِ لَيَكُونَنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي سَمِعْتُ مِنْهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ، فَإِنْ تَصَبَّهَ الْعَرَبُ فَقَدْ كَفَيْتُمُوهُ بَعِيرِكُمْ، وَإِنْ يَظْهَرَ عَلَى الْعَرَبِ فَمَلِكُهُ مَلِكِكُمْ، وَعَزُّهُ عَزُّكُمْ، وَكُنْتُمْ أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ، قَالُوا: سَحْرَكَ وَاللَّهِ يَا أبا الْوَلِيدِ بِلِسَانِهِ، قَالَ: هَذَا رَأْيِي فِيهِ، فَاصْنَعُوا مَا بَدَأَ لَكُمْ»<sup>(١)</sup>.

لقد حسم الحوار بآيات من الذكر الحكيم بالقول الفصل دون إطالة أو تفنيد في أمور لا تمثل أيًا من أهداف رسول الله صلى الله عليه وسلم فحقق بحوار قصير ما لا تبلغه الخطب الطوال بتوجيه حوارهِ وجهته الصحيحة فبلغ غايته من الإقناع؛ لذا يمكن أن نعد مطابقة الأقوال لمقتضى المقام أحد أهم سمات أسلوب رسول الله صلى الله عليه وسلم. ومن تلك النماذج أيضاً حوارهِ مع "ضمام بن ثعلبة"<sup>(٢)</sup> قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ الْوَلِيدِ بْنِ نُوَيْعٍ عَنِ كُرَيْبِ، مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: "بَعَثْتُ بَنُو سَعْدِ بْنِ بَكْرِ ضَمَامَ بْنَ ثَعْلَبَةَ وَافِدًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَدِمَ عَلَيْهِ، وَأَنَاخَ بَعِيرَهُ عَلَى

(١) ابن هشام - السيرة النبوية- ج ١، ص ٣٠٦.

(٢) "من بني سعد بن بكر وقع ذكره في حديث أنس في الصحيحين قال بينما نحن عند النبي صلى الله عليه وسلم إذ جاء أعرابي فقال: أيكم بن عبد المطلب الحديث... وكان عمر بن الخطاب يقول: ما رأيت أحداً أحسن مسألة ولا أوجز من ضمام بن ثعلبة وروى أبو داود من طريق بن إسحاق عن سلمة بن كهيل وغيره عن كريب عن ابن عباس قال: بعث بنو سعد ضمام بن ثعلبة إلى النبي صلى الله عليه وسلم فذكره مطولاً وفي آخره فما سمعنا بوفاد قوم قط كان أفضل من ضمام. قال البيهقي: كان يسكن الكوفة، وروى ابن منده وأبو سعيد النيسابوري من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبيه عن ابن عمر عن رجل من بني تميم يقال له ضمام بن ثعلبة فذكر نحوه. وقوله من بني تميم وهم. وزعم الواقدي أن قدمه كان في سنة خمس وفيه نظر. وذكر ابن هشام عن أبي عبيدة أن قدمه كان سنة تسع وهذا عندي أرجح" - ابن حجر العسقلاني - الإصابة في تمييز الصحابة - تحقيق: علي محمد البجاوي - طبعة: دار الجيل - بيروت ط- ١/ ١٤١٢ - ١٩٩٢ - ج ٣ ص ٤٨٦، ٤٨٧.

بَابِ الْمَسْجِدِ ثُمَّ عَقَلَهُ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسٌ فِي أَصْحَابِيهِ؛ وَكَانَ ضَمَامٌ رَجُلًا جَلْدًا أَشْعَرَ ذَا عَدِيرَتَيْنِ، فَأَقْبَلَ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَصْحَابِيهِ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ. قَالَ: أَمُحَمَّدٌ؟ قَالَ: نَعَمْ؛ قَالَ: يَا ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، إِنِّي سَأَلْتُكَ وَمُعَلِّطٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَلَا تَجِدَنَّ فِي نَفْسِكَ، قَالَ: لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي، فَسَلْ عَمَّا بَدَأَ لَكَ .

قَالَ: أَنْشُدْكَ اللَّهُ إِلَهَكَ وَإِلَهُ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، وَإِلَهُ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكَ، اللَّهُ بَعَثَكَ إِلَيْنَا رَسُولًا؟ قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ؛ قَالَ: فَأَنْشُدْكَ اللَّهُ إِلَهَكَ وَإِلَهُ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، وَإِلَهُ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكَ، اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْمُرَنَا أَنْ نَعْبُدَهُ وَحْدَهُ لَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ نَخْلَعَ هَذِهِ الْأَنْدَادَ الَّتِي كَانَ آبَاؤُنَا يَعْبُدُونَ مَعَهُ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ، قَالَ: فَأَنْشُدْكَ اللَّهُ إِلَهَكَ وَإِلَهُ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ، وَإِلَهُ مَنْ هُوَ كَائِنٌ بَعْدَكَ، اللَّهُ أَمَرَكَ أَنْ نُصَلِّيَ هَذِهِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ؟ قَالَ: اللَّهُمَّ نَعَمْ؛ قَالَ: ثُمَّ جَعَلَ يَذْكُرُ فَرَائِضَ الْإِسْلَامِ فَرِيضَةً فَرِيضَةً. الزَّكَاةَ وَالصَّيَامَ وَالْحَجَّ وَشَرَائِعَ الْإِسْلَامِ كُلِّهَا، يَنْشُدُهُ عِنْدَ كُلِّ فَرِيضَةٍ مِنْهَا كَمَا يَنْشُدُهُ فِي الَّتِي قَبْلَهَا، حَتَّى إِذَا فَرَغَ قَالَ: فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ؛ وَسَأُؤَدِّي هَذِهِ الْفَرَائِضَ، وَأَجْتَنِبُ مَا نَهَيْتَنِي عَنْهُ، ثُمَّ لَا أَزِيدُ وَلَا أَنْقُصُ. ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى بَعِيرِهِ رَاجِعًا. قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّ صَدَقَ ذُو الْعَقِيصَتَيْنِ دَخَلَ الْجَنَّةَ" (٣).

لقد استوعب رسول الله صلى الله عليه وسلم بدائية البدوي التي ظهرت في أسلوب طرحه للسؤال بلا تجمل "أيكم ابن عبد المطلب؟" ... ثم "أمحمد؟" ولكننا مع ذلك لا يمكن أن نغفل درساً من ذلك الرجل، لقد أدرك في سؤاله الغلظة وفي حوارهِ الإطالة فاعتذر عنهما ابتداءً وهو حسن حوارٍ يحسب للرجل ونعده من أساسيات الحوار النافع؛ فالإنسان إذا أدرك في نفسه أمراً لا يقبله الآخر فلا بأس من الإشارة إليه والاعتذار عنه قبل إدارة الحوار، ولا نغفل لذلك البدوي

أنه حينما تأكد أن المخاطب هو رسول الله صلى الله عليه وسلم تَلَطَّفَ في حوارهِ وتَجَمَّلَ في سؤاله بقوله " أنشدك الله... " ولعل هذا - فضلاً عن سرعة تصديقه وحرصه على معرفة أصول الدين- ما جعل عبد الله بن عباس يقول في ذلك الوافد " فما سمعنا بوافد قوم أفضل من ضمام بن ثعلبة" (١).

أما رسول الله صلى الله عليه وسلم فقد أدرك طبيعة السامع وخاطبه على قدره "فإن لكل مقام مقالاً" فقد بسط له مجال الحوار بقبول عذره واستعداده لإجابته " لا أجد في نفسي... فسل ما بدا لك " فإذا انتقلنا إلى سؤال الوافد نجده حدده فأظهر في لفظه الفطرة الحنيفية " أنشدك الله... " إنه ليس سؤال المنكر ولا الشاك المتردد فكانت إجابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وجيزة لا تحمل مؤكداً وتتجلى البلاغة النبوية في تلك الإجابة المتقلبة بين " نعم " و" اللهم نعم " فإذا ضَمَّنَ الرجل سؤاله ما كُلف به رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمره الله بتبليغه للعالمين كقوله " آله بعثك... " " آله أمرك... " أجاب صلى الله عليه وسلم بقوله: " اللهم نعم " فلفظ الجلالة المتصل بالميم المشددة المفتوحة المعوضة عن حرف النداء المحذوف يشير إلى إسهاد الله بالتبليغ، وحينما سألته عن اسمه لم يجب بسوى " نعم " وغيرها من الأسئلة التي وردت في غير هذه الرواية مما لا يتصل بأمر التبليغ . إنها الدقة المنشودة في إدارة الحوار فلا ثرثرة غير مجدية ولا اختصاراً محلاً، وكانت محصلة الحوار أن انصرف الرجل إلى قومه " وما أمسى من الحي من ذلك اليوم رجل أو امرأة إلا مسلماً " (٢).

ومن خصائص حوار رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه راعى في إدارته أدبيات راقية، منها: مراعاة أقدار المحاورين ، وإعطاء المخاطب حقه من التكريم يظهر

(١) ابن هشام- السيرة النبوية - ج ٤ - ص ١٤٢٩.

(٢) ابن هشام- السيرة النبوية- ج ٤ - ص ١٤٢٩ .



ذلك في قصة إسلام "عدي بن حاتم" (٣) قال : "فَخَرَجْتُ حَتَّى أَقْدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ، وَهُوَ فِي مَسْجِدِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: مَنْ الرَّجُلُ؟ فَقُلْتُ: عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ؛ فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَنْطَلَقَ بِي إِلَى بَيْتِهِ، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لَعَامِدٌ بِي إِلَيْهِ، إِذْ لَقَيْتُهُ امْرَأَةً ضَعِيفَةً كَبِيرَةً، فَاسْتَوْقَفْتُهُ، فَوَقَفَ لَهَا طَوِيلًا تَكَلَّمُهُ فِي حَاجَتِهَا، قَالَ: قُلْتُ فِي نَفْسِي: وَاللَّهِ مَا هَذَا بِمَلِكٍ؛" (٤) لقد أظهر رسول الله صلى الله عليه وسلم احتفاءً بابن حاتم الطائي فأخذه لاستضافته في بيته وعدي يتبعه متحسناً حركاته وسكناته مفتشاً فيها عن دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم وإذا ما يبحث عنه يجده وتبدي علاماته ، لقد وقف مستمعاً لامرأة ضعيفة ؛ فسلطانه إذاً ليس سلطان ملوك ؛ وما اجتمع له من انقياد القوم ليس لنفوذ دنوي . فكان سلوكه صلى الله عليه وسلم تمهيداً لحوار بناء، وإعداداً لنفس الآخر لاستقبال وجهة نظره بمزيد من الوثوق والقبول . نعود إلى حديث عدي ، حيث قال : "ثُمَّ مَضَى بِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى إِذَا دَخَلَ بِي بَيْتَهُ، تَنَاوَلَ وَسَادَةً مِنْ أَدَمٍ مَحْشُورَةً لَيْفًا، فَقَذَفَهَا إِلَيَّ؛ فَقَالَ: اجْلِسْ عَلَيَّ هَذِهِ، قَالَ: قُلْتُ: بَلْ أَنْتَ فَاجِلِسْ عَلَيْهَا، فَقَالَ: بَلْ أَنْتَ، فَجَلَسْتُ عَلَيْهَا، وَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالْأَرْضِ؛ قَالَ: قُلْتُ فِي نَفْسِي: وَاللَّهِ مَا هَذَا بِأَمْرِ مَلِكٍ" (٥) فهذه صورة أخرى من صور الاحتفاء وإعطاء

(٣) عدي بن حاتم عبد الله بن سعد بن الحشرج بن امرئ القيس بن عدي الطائي ولد الجواد المشهور أبو طريف . أسلم في سنة تسع وقيل سنة عشر وكان نصرانياً قبل ذلك وثبت على إسلامه في الردة وأحضر صدقة قومه إلى أبي بكر، وشهد فتح العراق، ثم سكن الكوفة وشهد صفين مع علي، ومات بعد الستين وقد أسن قال خليفة بلغ عشرين ومائة سنة. وقال أبو حاتم السجستاني بلغ مائة وثماني. قال محل بن خليفة عن عدي بن حاتم ما أقيمت الصلاة منذ أسلمت إلا وأنا على وضوء . وقال الشعبي عن عدي آتيت عمر في أناس من قومي فجعل يفرض للرجل ويعرض عني فاستقبلته فقلت: أتعرفني قال : نعم آمنت إذ كفروا، وعرضت إذ أنكروا ، ووفيت إذ غدروا ، وأقبلت إذ أدبروا إن أول صدقة بيضت وجوه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم صدقة طيبٌ. أخرجه أحمد وابن سعد وغيرهما .... وجزم خليفة بأنه مات سنة ثمان وستين وفي التاريخ المطرفي أنه مات في زمن المختار وهو ابن مائة وعشرين سنة. ابن حجر العسقلاني - الإصابة في تمييز الصحابة- ج ٤ ص ٤٦٩ : ٤٧٢ .

(٤) ابن هشام- السيرة النبوية ج ٤ ص ١٤٣٥ .

(٥) ابن هشام- السيرة النبوية - ج ٤ ص ١٤٣٥ .

الآخر قدره بما يشرح صدره ، ويوسع صدره لاستقبال شتى الآراء ، إنه صلى الله عليه وسلم لم يقدم كبير ضيافة ، ولكنه آثره على نفسه في وسادة متواضعة " آدم محشوة ليفاً " وجلس صلى الله عليه وسلم على الأرض؛ فما كان إلا رد فعل إيجابي لقد حاول عدي أن يعيدها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم " بل أنت فاجلس " ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم أصر على حق الضيف وإنزاله منزله .

إن هذا الحوار التمهيدي - إن صح التعبير - الخارج في مجمله عن القضية الأساسية - دعوة عدي للإسلام - بمنزلة إعداد نفسي له شارك - بلا شك - في بلوغ الغاية المنشودة .

إن قصة إسلام عدي بن حاتم تظهر جانباً آخر من أدبيات حوار رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد حرص على قراءة ما في نفس الآخر وتفهمه فبعد أن أجلسه قال له : " يَا عَدِيَّ بْنَ حَاتِمِ أَلَمْ تَكُ رَكُوسِيًّا ؟ قَالَ : قُلْتُ : بَلَى . ( قَالَ ) أَوَلَمْ تَكُنْ تَسِيرُ فِي قَوْمِكَ بِالْمَرْبَاعِ ؟ قَالَ : قُلْتُ : بَلَى ، قَالَ : فَإِنَّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ يَحِلُّ لَكَ فِي دِينِكَ ؛ قَالَ قُلْتُ : أَجَلٌ وَاللَّهِ ، وَقَالَ : وَعَرَفْتُ أَنَّهُ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ ، يَعْلَمُ مَا يُجْهَلُ ؛ ثُمَّ قَالَ : لَعَلَّكَ يَا عَدِيُّ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولِ فِي هَذَا الدِّينِ مَا تَرَى مِنْ حَاجَتِهِمْ ، فَوَاللَّهِ لَيُوشِكَنَّ الْمَالُ أَنْ يَفِيضَ فِيهِمْ حَتَّى لَا يُوجَدَ مَنْ يَأْخُذُهُ ؛ وَلَعَلَّكَ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولِ فِيهِ مَا تَرَى مِنْ كَثْرَةِ عَدُوِّهِمْ وَقِلَّةِ عَدَدِهِمْ ، فَوَاللَّهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ تَسْمَعَ بِالْمَرْأَةِ تَخْرُجُ مِنَ الْقَادِسِيَّةِ عَلَى بَعِيرِهَا ( حَتَّى ) تَرُورَ هَذَا النَّبِيِّ ، لَا تَخَافُ ؛ وَلَعَلَّكَ إِنَّمَا يَمْنَعُكَ مِنْ دُخُولِ فِيهِ أَنَّكَ تَرَى أَنَّ الْمَلِكَ وَالسُّلْطَانَ فِي غَيْرِهِمْ ، وَأَيْمُ اللَّهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ تَسْمَعَ بِالْقُصُورِ الْبَيْضِ مِنْ أَرْضِ بَابِلَ قَدْ فُتِحَتْ عَلَيْهِمْ ؛ قَالَ : فَأَسْلَمْتُ " (١) . لقد أدرك صلى الله عليه وسلم مخاوف عدي ووضع يده على موضع الداء ودواعي تردد عدي في دخول الإسلام أنه ركوسي " دين بين الصابئة والنصارى " وهو من السادات الذين يأخذون ربع الغنيمة وهو ما لا يحوزه إذا دخل في الإسلام فبشره صلى الله عليه وسلم فيما بشره بكثرة المال

في أيدي المسلمين؛ ودخول السلطان في ديارهم ، فكان ذلك سبباً في إسلام عدي .

إن من أدبيات الحوار الحرص على إيجاد محاور التقاء وهو ما أصّله صلى الله عليه وسلم في حوارهِ مع الآخر؛ ومن أهم صورهِ :

**تفهم عقيدة المحاور وقيمه الخاصة الراسخة بوجدانه :**

إنه من الضروري أن نستوعب عقيدة الآخر وأفكاره المؤمن بها . ما أعظم رسول الله صلى الله عليه وسلم حينما قبِلَ كتابة افتتاح معاهدة تناسب وفهم الآخر وفي الوقت ذاته لا تمس ديننا فقد دعا علياً ليكتب صلح الحديبية ( سنة ست ) هـ فقالَ : " اُكْتُبْ : بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ؛ قَالَ : فَقَالَ " سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو " (٢) : لَا أَعْرِفُ هَذَا ، وَلَكِنْ اُكْتُبْ : بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اُكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ ، فَكَتَبَهَا " (٣) ؛ إنها كلمة التوحيد بصيغة أخرى تتفق مع مبادئ ديننا الحنيف . ثُمَّ قَالَ : " اُكْتُبْ : هَذَا مَا صَالَحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ سُهَيْلُ بْنُ عَمْرٍو ؛ قَالَ : فَقَالَ سُهَيْلٌ : لَوْ شَهِدْتُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ لَمْ أُقَاتِلْكَ ، وَلَكِنْ اُكْتُبْ اسْمَكَ وَأَسْمَ أَبِيكَ ؛ قَالَ : فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اُكْتُبْ : هَذَا

(٢) "سهيل بن عمرو بن عبد شمس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل بن عامر بن لؤي القرشي العامري خطيب قريش أبو يزيد . قال البخاري : سكن مكة ثم المدينة ، وذكره ابن سميع في الأولى ممن نزل الشام ؛ وهو الذي تولى أمر الصلح بالحديبية ، وكلامه ومراجعته للنبي صلى الله عليه وسلم في ذلك في الصحيحين وغيرهما . وله ذكر في حديث ابن عمر في الذين دعا النبي صلى الله عليه وسلم عليهم في القنوت فنزلت (لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ) زاد أحمد في روايته فتابوا كلهم... وذكره ابن إسحاق فيمن أعطاه النبي صلى الله عليه وسلم مائة من الإبل من المؤلفة . وذكر ابن أبي حاتم عن عبد الله بن أحمد عن أبيه عن الشافعي كان سهيل محمود الإسلام من حين أسلم وروى البيهقي في الدلائل من طريق الحسن بن محمد بن الحنفية قال : قال عمر للنبي صلى الله عليه وسلم : دعني أنزع شيتي سهيل فلا يقوم علينا خطيباً فقال: دعها فلعلها أن تسرك يوماً فلما مات النبي صلى الله عليه وسلم قام سهيل بن عمرو فقال لهم : من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات ، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت... وروى ابن شاهين من طريق ثابت البناني قال : قال سهيل بن عمرو : والله لا أدع موقفاً وقفته مع المشركين إلا وقفته مع المسلمين مثله ، ولا نفقة أنفقتها مع المشركين إلا أنفقت على المسلمين مثلها لعل أمري أن يتلو بعضه بعضها . وقال : بن أبي خيثمة : مات سهيل بالطاعون سنة ثمان عشرة . ويقال قتل باليرموك . وقال خليفة بمرج الصفر والأول أكثر وأنه مات بالطاعون "ابن حجر العسقلاني - الإصابة في تمييز الصحابة- ج ٣ ص ٢١٢ : ٢١٥ .

(٣) ابن هشام- السيرة النبوية- ج ٣ ص ١١٤٣ .

مَا صَلَّحَ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ سُهِيلَ بْنِ عَمْرٍو" (١) وفي رواية مسلم " فأمر علياً أن يمحوها ، فقال علي : لا والله لا أمحوها ؛ فمحاها الرسول صلى الله عليه وسلم بيده" (٢) . لقد تفهم صلى الله عليه وسلم الموقف وأدرك أن الجهل هو الذي دفعه إلى ذلك القول ؛ ولو علم لقالها ف تجاوز عما كان دافعه الجهل في حرص منه صلى الله عليه وسلم على إيجاد محاور التقاء فحقق غاية ذلك الحوار ؛ رغم ما أثير حوله من الجدل والخلاف ، وتم عقد الصلح بما حمل من فائدة مستقبلية للمسلمين .

### اختيار الزمان والمكان المناسبين :

يعد اختيار التوقيت المناسب حيث استعداد الآخر لتبادل المفاهيم ، وطرح وجهات النظر المختلفة ، وتقصير المسافات بما يسهل بلوغ الغاية من أهم أسس الحوار الناجح ، وهذا ما اعتنى به رسول الله صلى الله عليه وسلم من نماذج ذلك ما أورده البخاري بسنده عن أنس رضي الله عنه أنه قال " كان غلام يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض . فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم يعوده . فقعد عند رأسه فقال له : أسلم . فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له : أطع أبا القاسم صلى الله عليه وسلم . فخرج النبي وهو يقول : الحمد لله الذي أنقذه من النار" (٣) إن هذا الحديث القصير يحمل كثيراً من الدلالات منها :

أولاً : استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم غلاماً يهودياً وظل ذلك الصبي يحتفظ بديانته مما يؤكد حرية العقيدة في الإسلام " لا إكراه في الدين " حتى عندما تتشابك المصالح .

ثانياً : أدى الرسول صلى الله عليه وسلم حق الغلام فقد حرص على عيادته بنفسه ، ولم ينتدب عنه مبعوثاً أو رسالة ؛ فلم يغفل واجبه لكونه يهودياً أو صيباً .

ثالثاً : اختار النبي صلى الله عليه وسلم المكان المناسب للجلوس عند الصبي عند

(١) ابن هشام - السيرة النبوية - ج ٣ ص ١١٤٣ .

(٢) الإمام النووي - صحيح مسلم - تحقيق مجموعة من العلماء - ط/ دار الحديث - القاهرة - ط/ ٤ - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م - باب صلح الحديبية - حديث رقم ١٧٨٣ - ص ٢٧٦ .

(٣) الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر - فتح الباري - تصحيح وتحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - كتاب الجنائز ج٢ ، ص ٢١٩ .

رأسه حيث يكون قريباً من السمع والبصر فيسمع كلمات الصدق ، ويتأمل في عينيه الحق . إنه قمة الاقتراب تلتقي فيه حتى الأنفاس ، أما الحوار فكان قصيراً جداً يتمثل في فعل أمر "أسلم" يبدو وكأنه بمنزلة قولنا: "هيا إلى النجاة" فلا مجال لحوار طويل مع فتى توسم في وجهه رسول الله صلى الله عليه وسلم دنو الأجل ، ثم إنه خبره وفهمه ؛ وربما أدرك فيه اقتناعاً مسبقاً بالإسلام ، ولعل ما منعه من قبل أمر يتعلق بأبيه ، والآن وفي حضور جميع الأطراف يعرض الرسول صلى الله عليه وسلم الإسلام في حضرة أبيه ؛ فإذا بالأب يسهل مهمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ويشد عضد ولده حينما ينظر إليه وكأنه يستأذنه ، وإذا بالصبي يعلن إسلامه ، ورسول الله يخرج من عنده يحمد الله على إنقاذه من النار فلا هدف في نفسه صلى الله عليه وسلم من إسلام غلام يحتضر إلا ذاك ، إن اختيار اللحظة الحاسمة سهّل المهمة وبلغ الغاية المنشودة ، وهنا يمكن أن نعقد مقارنة بين ذلك الحدث وموقف آخر عرض فيه الرسول صلى الله عليه وسلم الإسلام على الأسير "ثمامة ابن أثال" (٤) "حدثنا قتيبة بن سعيد ، حدثنا ليث عن سعيد بن أبي سعيد : أنه سمع أبا هريرة يقول : بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خيلاً قبل نجد . فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له ثمامة بن أثال . سيد أهل اليمامة . فربطوه بسارية من سواري المسجد . فخرج إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ( ماذا عندك يا ثمامة ؟ ) فقال : عندي ، يا محمد ! خير . إن تقتل تقتل ذا دم ، وإن تنعم تنعم على شاكر ، وإن كنت تريد المال فسل تُعطَ منه ما شئت ، فتركه رسول الله

(٤) "ثمامة بن أثال بن النعمان بن مسلمة بن عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة بن لجيم ، ... وسمعته قريش يتكلم بأمر محمد ، قالوا : صبأ ثمامة ، فقال : والله ما صبوت ، ولكنني أسلمت وصدقت محمداً وأمنت ... ولما ظهر مسيلمة وقوي أمره ، أرسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فرات بن حيان العجلي إلى ثمامة في قتال مسيلمة وقتله ... قال محمد بن إسحاق : لما ارتد أهل اليمامة عن الإسلام لم يرتد ثمامة ، وثبت على إسلامه ، هو من أتبعه من قومه ، وكان مقيماً باليمامة ينهاهم عن اتباع مسيلمة وتصديقه ... وشهد مع العلاء قتال الحطم ، فانهزم المشركون وقتلوا ، وقسم العلاء الغنائم ، ونفل رجالاً ، فأعطى العلاء خميصة - كانت للحطم يباهي بها - رجلاً من المسلمين ، فاشتراها منه ثمامة ، فلما رجع ثمامة بعد هذا الفتح رأى بنو قيس بن ثعلبة ، قوم الحطم ، خميسته على ثمامة فقالوا : أنت قتلت الحطم ، قال : لم أقتله ، ولكنني اشتريتها من المغنم ، فقتلوه" . عز الدين بن الأثير - أسد الغابة في معرفة الصحابة - تحقيق : مجموعة من العلماء - طبعة : دار الكتب العلمية - بيروت - ط ٢ - ج ١ ص ٤٦١ .

صلى الله عليه وسلم، حتى كان بعد الغد، فقال (ما عندك يا ثمامة؟) قال: ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم. وإن كنت تريد المال فسل تُعْطَ منه ما شئت. فتركه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كان من الغد. فقال (ما عندك يا ثمامة؟) فقال: عندي ما قلت لك، إن تنعم تنعم على شاكر، وإن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال فسل تُعْطَ منه ما شئت. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم (أطلقوا ثمامة) فانطلق إلى نخل قريب من المسجد. فاغتسل، ثم دخل المسجد فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، يا محمد! والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلي، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحب الدين كله إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد كلها إلي...<sup>(١)</sup> لقد طرح الرسول صلى الله عليه وسلم الأمر على ثمامة وعأوده مرات متعاقبة على أيام ثلاثة مكرراً السؤال نفسه "ما عندك يا ثمامة؟" فأمهله فرصة التفكير؛ حيث يسمح الزمن، ولكنه ليس الطرح الممتد؛ فلا مجال عند رسول الله صلى الله عليه وسلم لترك الفكرة مطروحة لوقت طويل ولا لزم من مفتوح حتى لا تفقد قيمتها أو تستغل فيتلاعب بها، وقد ذكرت لنا كتب السيرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم أكرم الأسير وأمر بالإحسان إليه "أَحْسِنُوا إِسَارَهُ وَرَجَعِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى أَهْلِهِ؛ فَقَالَ: أَجْمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَكُمْ مِنْ طَعَامٍ، فَابْعَثُوا بِهِ إِلَيْهِ، وَأَمَرَ بِلِقْحَتِهِ أَنْ يُعْدَى عَلَيْهِ بِهَا وَيُرَاحَ فَجَعَلَ لَا يَقَعُ مِنْ ثُمَامَةَ مَوْقِعًا وَيَأْتِيهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"<sup>(٢)</sup>

فكان لإكرام رسول الله صلى الله عليه وسلم له بما في بيته وتلطفه معه في الطرح وعدم التنكيل به في أسره، ثم إطلاق سراحه بلا قيد أو شرط موقع طيب في نفسه دفعه لأن يكون توجهه بعد الإطلاق إلى حيث التطهر لإعلان الإسلام.

(١) صحيح مسلم - ج/ ٦ كتاب الجهاد والسير - باب ربط الأسير وحبسه - رقم ١٧٦٥ ص ٢٣٠.

(٢) ابن هشام- السيرة النبوية - ج ٤ ص ١٤٩٦.

### نبذ العنصرية في الحوار :

لقد كادت العصبية القبلية أن تثير حرباً ضروساً بين طائفتين من المسلمين وهذا ما نراه في خلاف وقع بعد غزوة بني المصطلق (في شعبان سنة ست هجرية)، حين "أزْدَحَمَ" جَهْجَاهُ" (٣) و"سَنَانُ بْنُ وَبَرَ الْجُهَنِيُّ" (٤)، حَلِيفُ بَنِي عَوْفِ بْنِ الْخَزْرَجِ عَلَى الْمَاءِ، فَاقْتَتَلَا، فَصَرَخَ الْجُهَنِيُّ: يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، وَصَرَخَ جَهْجَاهُ: يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ؛" (٥) لقد تعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين سمع تلك الدعوة وسأل مستنكراً " ما هذا دعوى أهل الجاهلية؟" (٦) ودعا إلى الصلح ونصرة المظلوم ونهي الظالم .

### نبذ التعصب في الرأي :

بحكم الفطرة الإنسانية يجد الإنسان نفسه متمسكاً برأيه ، وكأن رأيه أصبح جزءاً من كيانه ؛ وإذا بالرأي يتحول إلى قضية مُسَلَّم بها هنا يتعطل الحوار وتتوقف آلياته، إن أيسر قواعد الحوار تتمثل في المقولة الشهيرة "قولي صواب يحتمل الخطأ ، وقول غيري خطأ يحتمل الصواب" وهذا ما نراه في مواقف النبي صلى الله عليه وسلم ، من أمثلة ذلك ما نجده عندما شرع صلى الله عليه وسلم

(٣) جهجاه بن سعيد وقيل بن قيس وقيل بن مسعود الغفاري شهد بيعة الرضوان بالحديبية وروى الشيخان من حديث جابر كنا في غزاة بني المصطلق فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار... الحديث... عاش جهجاه إلى خلافة عثمان فروى الباوردي من طريق الوليد بن مسلم عن مالك وغيره عن نافع عن ابن عمر قال : قدم جهجاه الغفاري إلى عثمان وهو على المنبر فأخذ عصاه فكسرها فما حال على جهجاه الحول حتى أرسل الله في يده الأكلة فمات منها . ورواه ابن السكن من طريق سليمان بن بلال وعبد الله بن إدريس عن عبيد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر . " ابن حجر العسقلاني - الإصابة في تمييز الصحابة - ج ١ ص ٥١٨ ، ٥١٩ .

(٤) سنان بن وبرة أو وبر الجهني حليف بني الحارث بن الخزرج قال : ابن أبي حاتم عن أبيه هو الذي سمع عبد الله بن أبي يقول: (لَنْ رُجِمْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ) الآية . وروى الطبراني من طريق خارجة بن الحارث بن رافع الجهني عن أبيه سمعت سنان بن وبرة الجهني يقول كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزاة بني المصطلق وكان شعارنا يا منصور أمت وقال في الأوسط لا يروي عن سنان إلا بهذا الإسناد تفرد به محمد بن جهم ، وقال أبو عمر : هو سنان بن تيم ، ويقال ابن وبرة وهو الذي نازع جهجاه الغفاري على الماء فاقتتلا . ابن حجر العسقلاني - الإصابة في تمييز الصحابة - ج ٣ ص ١٩٠

(٥) ابن هشام- السيرة النبوية ج ٣ ص ١١١٤ .

(٦) صحيح مسلم - كتاب البر وصلة الرحم ٦٢ - ٢٥٨٤ - ج ٨ ص ٢٨١ .

في الصلح مع غطفان بعد أن اشتد البلاء على المسلمين؛ فاتفق مع قائديها على إعطائهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معهما عنه صلى الله عليه وسلم وأصحابه " فلما أَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَفْعَلَ، بَعَثَ إِلَى سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ <sup>(١)</sup> وَ" سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ <sup>(٢)</sup>، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُمَا، وَاسْتَشَارَهُمَا فِيهِ، فَقَالَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَمْرًا نَحْبُهُ فَنَصْنَعُهُ، أَمْ شَيْئًا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ، لَا بُدَّ لَنَا مِنَ الْعَمَلِ بِهِ، أَمْ شَيْئًا تَصْنَعُهُ لَنَا؟ قَالَ: بَلْ شَيْءٌ أَصْنَعُهُ لَكُمْ، وَاللَّهِ مَا أَصْنَعُ ذَلِكَ إِلَّا لِأَنْبِيِّ رَأَيْتُ الْعَرَبَ قَدْ رَمَتَكُمْ عَنْ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، وَكَالْبُوكُمُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ أَكْسِرَ عَنْكُمْ مِنْ شَوْكَتِهِمْ إِلَى أَمْرٍ مَا، فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ كُنَّا نَحْنُ وَهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى الشَّرْكِ بِاللَّهِ وَعِبَادَةِ الْأَوْثَانِ، لَا نَعْبُدُ اللَّهَ وَلَا نَعْرِفُهُ، وَهُمْ لَا يَطْمَعُونَ أَنْ يَأْكُلُوا مِنْهَا تَمْرَةً إِلَّا قَرِيٌّ أَوْ بَيْعًا، أَفَحِينَ أَكْرَمَنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ وَهَدَانَا لَهُ وَأَعَزَّنَا بِكَ وَبِهِ، نُعْطِيهِمْ أَمْوَالَنَا ( وَاللَّهِ ) مَا لَنَا بِهِذَا مِنْ حَاجَةٍ، وَاللَّهِ لَا نُعْطِيهِمْ إِلَّا السِّيفَ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَانْتَدَتْ وَذَلِكَ. فَتَنَاولَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ الصَّحِيفَةَ، فَمَحَا مَا فِيهَا مِنَ الْكِتَابِ، ثُمَّ قَالَ: لِيَجْهَدُوا عَلَيْنَا <sup>(٣)</sup> لقد تحاور النبي صلى الله عليه وسلم مع أصحابه ورأى أحدهم غير ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم فافتنع برأيه ونزل إلى رغبته، ومحيت صحيفة الاتفاق، ولم يمنع رسول الله ذلك ما يمنع بعض كبرائنا اليوم من التحرج أو الخجل من كون الآخر قدم ما هو أنسب .

(١) سعد بن معاذ بن النعمان بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث بن الخزرج بن النبيت واسمه : عمرو بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي ثم الأشهلي أبو عمرو، وأمه كيشة بنت رافع لها صحبة أسلم على يد مصعب بن عمير لما أرسله النبي صلى الله عليه وسلم إلى المدينة يعلم المسلمين فلما أسلم قال لبني عبد الأشهل : كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تسلموا . فأسلموا فكان من أعظم الناس بركة في الإسلام وشهد بدرًا لم يختلفوا فيه وشهد أحداً والخندق . " عز الدين بن الأثير - أسد الغابة في معرفة الصحابة- ج ٢ ص ٤٦١ .

(٢) سعد بن عبادة بن دليم بن حارثة بن أبي خزيمة وقيل : حارثة بن حزام بن حزيمة بن ثعلبة بن طريف بن الخزرج بن ساعدة بن كعب بن الخزرج الأنصاري الساعدي يكنى أبا ثابت وقيل : أبا قيس والأول أصح وكان نقيب بني ساعدة عن جميعهم وشهد بدرًا عن بعضهم ولم يذكره ابن عقبة ولا ابن إسحاق في البدرين وذكره فيهم الواقدي والمدائني وابن الكلبي وكان سيدياً جواداً وهو صاحب راية الأنصار في المشاهد كلها ، وكان وجهها في الأنصار ذا رياسة وسيادة يعترف قومه له بها ... عز الدين بن الأثير - أسد الغابة في معرفة الصحابة- ج ٢ - ص ٤٤١ .

(٣) ابن هشام-السيرة النبوية ج ٣ - ص ١٠٢٢ ، ١٠٢٤ .



### إيجاد مواطن الوحدة والتلاقي في الأحكام مع الآخر :

تتجسد حكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم في شتى مواقفه ، وتجلت أن أظهر التلاقي بين الديانات حينما أراد اليهود وضعه في اختبارات عدة منها ما رواه ابن إسحاق قال : " وَحَدَّثَنِي ابْنُ شَهَابِ الزُّهْرِيُّ أَنَّهُ سَمِعَ رَجُلًا مِنْ مَزِينَةَ، مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ، يُحَدِّثُ سَعِيدًا بْنَ الْمُسَيَّبِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ حَدَّثَهُمْ : أَنَّ أَحْبَارَ يَهُودَ اجْتَمَعُوا فِي بَيْتِ الْمُدْرَاسِ، حِينَ قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، وَقَدْ زَنَى رَجُلٌ مِنْهُمْ بَعْدَ إِحْصَانِهِ بِامْرَأَةٍ مِنْ يَهُودٍ قَدْ أَحْصَنَتْ، فَقَالُوا : ابْعَثُوا بِهَذَا الرَّجُلِ وَهَذِهِ الْمَرْأَةَ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَسَلُوهُ كَيْفَ الْحُكْمِ فِيهِمَا، وَوَلُوهُ الْحُكْمَ عَلَيْهِمَا، فَإِنْ عَمِلَ فِيهِمَا بِعَمَلِكُمْ مِنَ التَّجْبِيَةِ - وَالتَّجْبِيَةُ : الْجُلْدُ بِحَبْلِ مِنْ لَيْفِ مَطْلِيٍّ بِقَارٍ، ثُمَّ تَسْوَدُ وَجُوهُهُمَا، ثُمَّ يُحْمَلَانِ عَلَى حِمَارَيْنِ، وَتُجْعَلُ وَجُوهُهُمَا مِنْ قَبْلِ أَدْبَارِ الْحِمَارَيْنِ - فَاتَّبِعُوهُ، فَإِنَّمَا هُوَ مَلِكٌ، وَصَدَقُوهُ، وَإِنْ هُوَ حَكَمَ فِيهِمَا بِالرَّجْمِ فَإِنَّهُ نَبِيٌّ، فَاحْذَرُوهُ عَلَى مَا فِي أَيْدِيكُمْ أَنْ يَسْلُبِكُمُوهُ . فَآتَوْهُ، فَقَالُوا : يَا مُحَمَّدُ، هَذَا رَجُلٌ قَدْ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ بِامْرَأَةٍ قَدْ أَحْصَنَتْ، فَاحْكَمْ فِيهِمَا، فَقَدْ وَلَيْنَاكَ الْحُكْمَ فِيهِمَا . فَمَشَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى آتَى أَحْبَارَهُمْ فِي بَيْتِ الْمُدْرَاسِ فَقَالَ : يَا مَعْشَرَ يَهُودٍ أَخْرِجُوا إِلَيَّ عُلَمَاءَكُمْ، فَأَخْرَجَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ صُورِيًّا<sup>(٤)</sup>، فَخَلَا بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ غُلَامًا شَابًا مِنْ أَحَدِثِهِمْ سِنًا، فَأَلْظَمَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَسْأَلَةَ، يَقُولُ لَهُ : يَا ابْنَ صُورِيًّا، أَنْشُدْكَ اللَّهَ وَأَذْكُرْكَ بِأَيَّامِهِ عِنْدَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، هَلْ تَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ حَكَمَ فِيَمَنْ زَنَى بَعْدَ إِحْصَانِهِ بِالرَّجْمِ فِي التَّوْرَةِ؟ قَالَ : اللَّهُمَّ نَعَمْ، أَمَا وَاللَّهِ يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّهُمْ لَيَعْرِفُونَ أَنَّكَ لَنَبِيِّ مُرْسَلٍ وَلَكِنَّهُمْ يَحْسُدُونَكَ . قَالَ : فَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَمَرَ بِهِمَا فَرَجَمَا عِنْدَ بَابِ مَسْجِدِهِ فِي بَنِي غَنَمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ<sup>(٥)</sup> .

(٤) ابن هشام - السيرة النبوية - ج ٢ ص ٥٩٨ .

(٥) ابن هشام - السيرة النبوية - ج ٢ - ص ٥٩٩ .

لقد تَرَوَى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حكمه على الرجل والمرأة إذ أراد أولاً أن يظهر من ذلك الموقف أن حكم الله واحد، وأن جميع الديانات السماوية تخرج من مشكاة واحدة؛ وفي ذلك تأكيد لنبوته، وإقناع لأصحاب الديانة الأخرى بصحة حكمه، ثم ما يترتب على ذلك من حقن لما قد يظهر من جدال في الحكم فيما بين ذويهما - الزاني والزانية - على أقل افتراض . لهذا عمد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى محاورة أعلم من بقي بالتوراة وقد ألح عليه في المسألة حتى أكد له تطابق ما جاء في الإسلام والتوراة ، بل ويشهد الرجل بنبوته محمد صلى الله عليه وسلم ويعلمه علم اليهود بذلك ، ولكنه الحسد . فحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهما بحكم الله الذي ورد في شتى الديانات السماوية في تلاق عقائدي ؛ حرص رسول الله على إثباته في ذلك المشهد . ثم هذا الحوار بين الرسول صلى الله عليه وسلم وحبر اليهود ما يؤكد لهم أنه النبي الذي وجدوا صفاته مكتوبة عندهم في التوراة .

وفي موقف سابق لهذا الحدث نرى الرسول صلى الله عليه وسلم يقيم علاقة ودّ وتلاقٍ وتقريب العلاقات من خلال الديانات السماوية ؛ ففي قصة الطائف أتى الغلام عداس<sup>(١)</sup> بطبق فيه عنب " ثُمَّ أَقْبَلَ بِهِ حَتَّى وَضَعَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ قَالَ لَهُ: كُلْ، فَلَمَّا وَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ يَدَهُ، قَالَ: بِاسْمِ اللَّهِ، ثُمَّ أَكَلَ، فَنَظَرَ عَدَّاسٌ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا الْكَلَامَ مَا يَقُولُهُ أَهْلُ هَذِهِ الْبِلَادِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمِنْ أَهْلِ أَيِّ

(١) عداس مولى شيبه بن ربيعة كان نصرانياً من أهل نينوى قرية من قرى الموصل ولقي النبي صلى الله عليه وسلم بالطائف في قصة ذكرها بن إسحاق في السيرة ... وذكر الواقدي في قصة بدر من طريق أبي بكر بن سليمان بن أبي خيثمة عن حكيم بن حزام قال : فإذا عداس جالس على الثنية البيضاء والناس يمرون عليها فوثب لما رأى شيبه وعتبة وأخذ بأرجلها يقول بابي وأمي أنتما والله إنه لرسول الله وما تسافان إلا إلى مصارعكما قال ومر به العاص ابن شيبه فوجده يبكي فقال : مالك فقال : يبكي سيدي وسيدا هذا الوادي فيخرجان ويقاتلان رسول الله فقال له العاص إنه لرسول الله فانتفض عداس انتفاضة شديدة واقشعر جلده وبكى وقال : إي والله إنه لرسول الله إلى الناس كافة . وذكر الواقدي من وجه آخر أنه ناهما عن الخروج وهما بمكة فخالفا فخرج معهما فقتل ببدر قال ويقال أنه لم يقتل بها بل رجع فمات . ابن حجر العسقلاني - الإصابة في تمييز الصحابة ج ٤ ص ٤٦٦ ، ٤٦٧ .

البلاد أَنْتَ يَا عَدَّاسُ، وَمَا دِينُكَ؟ قَالَ: نَصْرَانِيٌّ، وَأَنَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نَيْنَوَى، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَرْيَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتَّى، فَقَالَ لَهُ عَدَّاسُ: وَمَا يُدْرِيكَ مَا يُونُسُ بْنُ مَتَّى؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاكَ أَخِي، كَانَ نَبِيًّا وَأَنَا نَبِيٌّ، فَأَكَّابَ عَدَّاسٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُقَبِّلُ رَأْسَهُ وَيَدِيهِ وَقَدَمَيْهِ<sup>(٢)</sup> لقد أجاب الرسول صلى الله عليه وسلم عن سؤال الغلام بألفاظ أدخلت الألفة في قلبه منها وصف "يونس بن متى" بأخي" فتحوّلت العلاقة إلى قرابة في الإنسانية بما حققته الديانات السماوية .

ومن سمات حوار الرسول الحرص على السلم الاجتماعي إننا لنشهد في إدارة الرسول صلى الله عليه وسلم حرصاً على حفظ الأمن في المجتمع فلا إطلاق لخبر لم يتأكد من صحته، لقد عاد زيد بن أرقم إلى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخبره بمقولة قالها "عبد الله بن أبي"<sup>(٣)</sup> . . . أَمَا وَاللَّهِ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ"<sup>(٤)</sup>، وَذَلِكَ عِنْدَ فَرَاغِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عَدُوِّهِ، - بني المصطلق - فَأَخْبَرَهُ زَيْدُ الْخَبَرِ، فَنَجَدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يراجع الفتى أكثر من مرة فقال "يا غلام لعلك غضبت عليه" فقال: والله يا رسول الله لقد سمعته منه" وفي تثبت بشكل آخر من الرسول صلى الله عليه وسلم وفي محاولة لإعطاء الغلام مساحة من فرص التراجع في حالة عدم صدقه قال له " لعله أخطأ سمعك " .

تُرى هل هو عدم تصديق أو هو حسن إدارة حوار بما يخدم المجتمع الناشئ وإتاحة الفرصة لمزيد من تدبير الأمر؟ إنها كلمة تثير النفوس المؤمنة وتشعل غضبها، فهذا عمر بن الخطاب سمع هذه المقولة فقد كان عند الرسول صلى الله عليه وسلم، فَقَالَ: " مُرِّيهِ عَبَادَ بْنَ بَشِيرٍ فَلْيَقْتُلْهُ؛ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

(٢) ابن هشام - السيرة النبوية - ج ٢ ص ٤٤٦ .

(٣) عبد الله بن أبي بن سلول " ... ٩ هـ - ٦٣٠ م " بن مالك بن الحارث بن عبيد الخزرجي أبو الحباب المشهور بابن سلول، وسلول جدته لأبيه، من خزاعة، رأس المنافقين في الإسلام ... خير الدين الزركلي - الأعلام - ج ٤ ص ٦٥ .

(٤) ابن هشام - السيرة النبوية - ج ٣ ص ١١١٤ .

عليه وسلم فكيف يا عمر إذا تحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه، لا<sup>(١)</sup> ثم قال لعمر "ترعد له إذن أنف كثيرة... " وطلب منه أن ينادي بالرحيل "ولكن أذن بالرحيل وذلك في ساعة لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يرتحل فيها، فارتحل الناس"<sup>(٢)</sup>. إن مقولة النبي صلى الله عليه وسلم تؤكد جواز قتله، ولكنه نظر إلى أبعد من ذلك؛ إن المجتمع غير مهيب لذلك الخطب وربما أثار لجة بين مؤيد ومعارض بل سيقال "يقتل محمد أصحابه" دون أن يفسروا الداعي، ولننظر إلى لفظة "أصحابه" بما تحمله من دلالات؛ لن يقال ذلك إلا لإثارة الفتنة. أما الرحيل فكان لشغل الناس عن هذا الحديث وكان موعداً مستغرباً من قبل بعضهم حتى جاءه "أسيد ابن حضير"<sup>(٣)</sup> "قال ابن إسحاق: فلما استقل رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار، لقيه أسيد بن حضير، فحياه بتحية النبوة وسلم عليه، ثم قال: يا نبي الله، والله لقد رحت في ساعة منكرة، ما كنت تروح في مثلها، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ما بلغك ما قال صاحبكم؟ قال: وأي صاحب يا رسول الله قال: عبد الله بن أبي؛ قال: وما قال؟ قال: زعم أنه إن رجع إلى المدينة ليخرجن الأعرض منها الأذل، قال: فانت يا رسول الله والله تخرجه منها إن شئت. هو والله الدليل وأنت العزيز؛ ثم قال: يا رسول الله. أرفق به، فوالله لقد جاءنا الله بك، وإن قومك لينظمون له الحرز ليتوجوه، فإنه ليرى أنك قد استلبته ملكاً"<sup>(٤)</sup>.

(١) ابن هشام - السيرة النبوية - ج ٣ ص ١١١٤.

(٢) ابن هشام - السيرة النبوية - ج ٣ ص ١١١٤.

(٣) أسيد بن الحضير بن سماك بن عتيك بن امرئ القيس بن زيد بن عبد الأشهل الأنصاري الأشهلي يكتب أبا يحيى وأبا عتيك، وكان أبوه حضير فارس الأوس ورئيسهم يوم بعثت وكان أسيد من السابقين إلى الإسلام وهو أحد النقباء ليلة العقبة، وكان إسلامه على يد مصعب بن عمير قبل سعد بن معاذ، واختلف في شهوده بدرًا؛ قال ابن سعد كان شريفاً كاملاً وأخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين زيد بن حارثة، وكان ممن ثبت يوم أحد، وجرح حينئذ سبع جراحات... وقال البيهقي حدثنا ابن زبور حدثنا ابن أبي حازم عن سهيل عن أبيه عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال نعم الرجل أسيد بن حضير... وروى الواقدي من طريق عبد الله التيمي قال كان أبو بكر لا يقدم أحداً من الأنصار على أسيد بن حضير وروى البخاري في تاريخه عن ابن عمر قال لما مات أسيد بن حضير قال عمر لغرمائه فذكر قصة تدل على أنه مات في أيامه... ابن حجر العسقلاني - الإصابة في تمييز الصحابة ج ١/ ص ٨٣، ٨٤.

(٤) ابن هشام - السيرة النبوية - ج ٣ ص ١١١٥.

هذا تفسير يمكن أن يقال في هذا الشأن استمع له رسول الله صلى الله عليه وسلم للوصول إلى أبعاد الأمر. ثم مشى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالناس يومهم حتى أمسوا وليلتهم حتى أصبحوا حتى آذتهم الشمس ، ثم نزل بالناس فلم يلبثوا أن وجدوا مس الأرض حتى وقعوا نياماً - كما روت كتب السيرة - لقد آثر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتعب أجساد الناس على أن يتركهم يخوضون في حديث قد يتوسع أمره ولم يتثبت منه بعد ، أما هو صلى الله عليه وسلم فقد رأى أن يرسل وسيطاً من الأنصار لابن أبيي فقالوا له " إن قلت ما نقل عنك ؛ فأخبر به النبي يستغفر لك ولا تجحده فينزل فيك ما يكذبك وإن كنت لم تقله ؛ فأنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذر له واحلف ما قلته فحلف ما قاله ثم مشى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهنا واجهه صلى الله عليه وسلم بمقولته فقال " يا ابن أبيي أنت صاحب هذا الكلام الذي بلغني عنك ؟ إن كانت سبقت منك مقالة فتب" (٥) ، لقد بدأ الرسول صلى الله عليه وسلم معه الحوار متلطفاً رغم جلال الخطب ، ولم ينه خطابه صلى الله عليه وسلم إلا بدعوته للتوبة إلى الله ؛ فالحوار بدأ بباب مفتوح للعودة إلى سابق العهد من المسالمة دون تهديد ووعيد فما كان من الرجل إلا أن نفى وأنكر مقولته ثم نزلت السورة التي ذكر فيها الله المنافقين في عبد الله بن أبيي ليتأكد صدق الواقعة ، وجاء ولد عبد الله يطلب قتل أبيه حتى لا يقتله غيره " وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ تَأْمُرَ بِهِ غَيْرِي فَيَقْتُلَهُ ، فَلَا تَدْعُنِي نَفْسِي أَنْظُرُ إِلَى قَاتِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِيي بِمَشِي فِي النَّاسِ ، فَأَقْتُلَهُ فَأَقْتَلَ ( رَجُلًا ) مُؤْمِنًا بِكَافِرٍ ، فَأَدْخَلَ النَّارَ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَلْ نَتَرَفَّقُ بِهِ ، وَنُحْسِنُ صُحْبَتَهُ مَا بَقِيَ مَعَنَا" (٦) فكان في رد الرسول صلى الله عليه وسلم حرس على السلم الاجتماعي ، وعدم إشعال الفتنة في المجتمع الجديد ، ودرس في التسامح الديني ؛ أما قوم ابن أبيي فهم الذين أخذوا يعاتبونه

(٥) علي بن برهان الدين الحلبي - "السيرة الحلبية" المسمى "إنسان العيون في سيرة الأئمة المأمون" - دار المعرفة - بيروت ج/٢ ص ٥٨٣ .

(٦) ابن هشام - السيرة النبوية - ج ٣ ص ١١١٦ .

وينكرون قولته فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب " كَيْفَ تَرَى يَا عُمَرُ؟ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ قَتَلْتَهُ يَوْمَ قُلْتِ لِي أَقْتُلُهُ، لَأُرْعَدْتَ لَهُ أَنْفٌ، لَوْ أَمَرْتَهَا الْيَوْمَ بِقَتْلِهِ لَقَتَلْتَهُ؛ قَالَ: قَالَ عُمَرُ: قَدْ وَاللَّهِ عَلِمْتُ لَأُمُرَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْظَمَ بَرَكَةً مِنْ أَمْرِي" (١)، فهذه عاقبة الحكمة والروية في الأمر، وفي هذا الحدث ما يشير إلى رافة الرسول صلى الله عليه وسلم؛ فقد حظي الرجل بالأمان حياً وفاز بصلاة الرسول عليه ميتاً " قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَحَدَّثَنِي الزُّهْرِيُّ عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ: لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي، دُعِيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلصَّلَاةِ عَلَيْهِ، فَقَامَ إِلَيْهِ؛ فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهِ يُرِيدُ الصَّلَاةَ، تَحَوَّلَتْ حَتَّى قُمْتُ فِي صَدْرِهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَتُصَلِّي عَلَيَّ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي بْنِ سَلُولٍ؟ الْقَائِلُ كَذَا يَوْمَ كَذَا، وَالْقَائِلُ كَذَا يَوْمَ كَذَا؟ أَعُدُّ أَيَّامَهُ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَتَبَسَّمُ حَتَّى إِذَا أَكْثَرْتُ قَالَ: يَا عُمَرُ، أَخْرَجْنِي، إِنِّي قَدْ خَيْرْتُ فَاخْتَرْتُ، قَدْ قِيلَ لِي: اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ، إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ، فَلَوْ أَعْلَمَ أَنِّي إِنْ زِدْتُ عَلَى السَّبْعِينَ غُفِرَ لَهُ، لَزِدْتُ، قَالَ: ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَشَى مَعَهُ حَتَّى قَامَ عَلَى قَبْرِهِ، حَتَّى فُرِغَ مِنْهُ. قَالَ: فَعَجِبْتُ لِي وَإِلَّا يَسِيرًا حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: {وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ} (٢).

فَمَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَهُ عَلَى مُنَافِقٍ حَتَّى قَبَضَهُ اللَّهُ تَعَالَى" (٣).

إن بناء الحوار على أساس السلم الاجتماعي يعد منطلقاً للرسول صلى الله عليه

(١) ابن هشام - السيرة النبوية - ج ٣ ص ١١١٦.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٨٤.

(٣) ابن هشام - السيرة النبوية ج ٤ ص ١٤٠٤ - ١٤٠٥.

وسلم ويتجلى في كبرى المواقف؛ ويتوجهها حديثه يوم فتح مكة (سنة ثمان) هـ "يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرًا، أَخِ كَرِيمٍ، وَابْنِ أَخِ كَرِيمٍ. قَالَ: أَذْهَبُوا فَأَنْتُمْ الطُّلَقَاءُ"<sup>(٤)</sup>.

ومن سمات حوار رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه لا يُنفذ إلى خصومة فقد عرض صلى الله عليه وسلم الإسلام على وفد نجران ودار بينهما حوار حول خلق عيسى عليه السلام "فَلَمَّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبْرُ مِنَ اللَّهِ عَنْهُ، وَالْفُضْلُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، وَأَمَرَ بِمَا أَمَرَهُ مِنْ مُلَاعَمَتِهِمْ إِنْ رَدُّوا ذَلِكَ عَلَيْهِ، دَعَاهُمْ إِلَى ذَلِكَ؛ فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، دَعْنَا نَنْظُرَ فِي أَمْرِنَا، ثُمَّ نَأْتِيكَ بِمَا نُرِيدُ أَنْ نَفْعَلَ فِيمَا دَعَوْتَنَا إِلَيْهِ، فَانصَرَفُوا..."<sup>(٥)</sup> ثم خلوا إلى كبيرهم فاستقروا على صدق نبوته وخطورة الملاعنة عليهم وأرادوا أن يبقوا على دينهم فعادوا إليه وقالوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، قَدْ رَأَيْنَا أَلَّا نُلَاعِنَكَ، وَأَنْ نَتَرَكَكَ عَلَى دِينِكَ وَنَرْجِعَ عَلَى دِينِنَا، وَلَكِنْ أَبَعْتُ مَعَنَا رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ تَرْضَاهُ لَنَا، يَحْكُمُ بَيْنَنَا فِي أَشْيَاءِ اخْتَلَفْنَا فِيهَا مِنْ أَمْوَالِنَا، فَإِنَّكُمْ عِنْدَنَا رَضِيَ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرٍ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتُونِي الْعَشِيَّةَ أَبَعْتُ مَعَكُمْ الْقَوِيَّ الْأَمِينِ. قَالَ: فَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ يَقُولُ: مَا أَحْبَبْتُ الْإِمَارَةَ قَطُّ حُبِّي إِيَّاهَا يَوْمَئِذٍ، رَجَاءً أَنْ أَكُونَ صَاحِبَهَا، فَرَحْتُ إِلَى الظُّهْرِ مُهَجِّرًا، فَلَمَّا صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الظُّهْرَ سَلِمَ، ثُمَّ نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ، فَجَعَلَتْ أَتْطَاوُلُ لَهُ لَيْرَانِي، فَلَمْ يَزَلْ يَلْتَمِسُ بَبْصَرِهِ حَتَّى رَأَى أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ<sup>(٦)</sup>، فَدَعَاهُ فَقَالَ: أَخْرِجْ مَعَهُمْ،

(٤) ابن هشام- السيرة النبوية ج ٤ ص - ١٢٥٤.

(٥) ابن هشام- السيرة النبوية - ج ٢ ص ٦١٩.

(٦) أَبُو عُبَيْدَةَ - بزيادة هاء- هو: أَبُو عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ. قيل: اسمه عامر بن عبد الله بن الجراح. وقيل: عبد الله بن عامر. والأول أصح، وهو: عامر بن عبد الله بن الجراح بن هلال بن أهياب بن ضبة بن الحارث بن فهر بن مالك بن النضر القرشي الفهري أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وشهد بدرا، وأحدا، وسائر المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهاجر إلى الحبشة الهجرة الثانية. .. ولما دخل عمر بن الخطاب الشام، ورأى عيش أبي عبيدة، وما هو عليه من شدة العيش، قال له: كلنا غيرته الدنيا غيرك يا أبا عبيدة... وتوفي في طاعون عمواس سنة ثمان عشرة، وصلي عليه معاذ بن جبل. قال سعيد بن عبد الرحمن بن حسان: مات في طاعون عمواس خمسة وعشرون ألفا... عز الدين ابن الأثير- أسد الغابة في معرفة الصحابة - ج ٦/ ص ٢٠١، ٢٠٢.

فَأَقْضَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ فِيمَا اِخْتَلَفُوا فِيهِ . قَالَ عُمَرُ : فَذَهَبَ بِهَا أَبُو عُبَيْدَةَ <sup>(١)</sup> إِنْ اِخْتَلَفَ فِي الرَّأْيِ لَمْ يَفْسُدْ لِلوُدِ قَضِيَّةٌ وَاخْتِلَافَ الْعَقِيدَةِ لَمْ يَنْشِبْ بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةُ لَقَدْ اعْتَرَفَ الْوَفْدُ بِصِدْقِ نَبْوَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَكِنْهُمْ أَرَادُوا أَنْ يَعُودُوا بِدِينِهِمْ إِلَّا أَنَّهُمْ لَمَّا رَأَوْا فِي الْإِسْلَامِ مِنَ الْحَقِّ أَرَادُوا رِجَالًا مِنْ أَصْحَابِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْكُمُ فِي عَصَبِ حَيَاتِهِمْ - الْمَالِ - فَلَمْ يَنْكُرْ عَلَيْهِمْ طَلِبَهُمْ ، وَلَمْ يَمْنَعَهُمْ إِيَّاهُ ؛ لَكُونَهُمْ لَمْ يَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ ، وَتَمَسَّكُوا بِدِينِهِمْ ؛ بَلْ قَرَّرَ اخْتِيَارَ مَنْ يَقُومُ بِالْمَهْمَةِ بِأَمَانَةٍ وَعَزَمَ مِنْ خَيْرَةِ رِجَالِهِ ، وَإِنَّا لَنَعْجَبُ حِينَئِذٍ نَجْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الَّذِي لَمْ يَسْتَشِرْ لِلْإِمَارَةِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَرِغَبَ فِي ذَلِكَ الْمَنْصَبِ لِيَفُوزَ بِلِقَبِّ " الْقَوِي الْأَمِينِ " وَيَبَادِرَ إِلَيْهِ مَبْكَرًا إِلَى صَلَاةِ الظُّهْرِ مَتَطَوَّلًا فِي الصَّفِّ لَعَلَّ الْاِخْتِيَارَ يَقَعُ عَلَيْهِ ؛ لَكِنْ الرَّسُولُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَخْتَارُ أبا عُبَيْدَةَ ، لَقَدْ أَنْفَذَ إِلَيْهِمْ أَحَدَ الْمُبَشِّرِينَ بِالْجَنَّةِ ، إِنْ هَذَا الْمَوْقِفُ يُؤْصَلُ لِتَبَادُلِ الْمَنَافِعِ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَصْحَابِ الدِّيَانَاتِ السَّمَاوِيَّةِ الْأُخْرَى فَلَا عَصْبِيَّةَ وَلَا انْعِزَالِيَّةَ فِي الْإِسْلَامِ .

ويعد التخطيط المحكم لإدارة الحوار من خصائص منهج رسول الله صلى الله عليه وسلم يبدو ذلك في موقفه مع الأنصار بعد أن خص صلى الله عليه وسلم المؤلفة قلوبهم من قريش وسائر العرب بالغنائم حتى كثر القليل والقال بين الأنصار فبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم قولهم فطلب من "سعد بن عباد" جمعهم في حظيرة فخرج سعد ، فجمع الأنصار في تلك الحظيرة . قَالَ : فَجَاءَ رِجَالٌ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ فَتَرَكَهُمْ ، فَدَخَلُوا ، وَجَاءَ آخَرُونَ فَرَدَّهُمْ . <sup>(٢)</sup> أراد الرسول صلى الله عليه وسلم أن يضيق دائرة الخلاف وألا يتركها تتوسع ويزداد الجدل فيها بدخول أطراف لا شأن لهم بالحدث وأن يحصر الحوار مع الذين وجدوا في أنفسهم شيئاً مما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه ليس سرية الحوار؛ لأن الحديث سيداع بمجرد انتهاء الاجتماع ، ولكنه التخطيط المحكم لاحتواء الأمر واختصاص أهله

(١) ابن هشام - السيرة النبوية - ج ٢ - ص ٦٢٠ .

(٢) ابن هشام - السيرة النبوية - ج ٤ - ص ١٣٥١ .



به لإيجاحه . لقد اتسم ذلك الحوار بالمصارحة وقراءة أغوار نفس الآخر، حيث قام فيهم فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال " يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ: مَقَالَةٌ، بَلَعْتَنِي عَنْكُمْ، وَجَدَّةٌ وَجَدْتُمُوهَا عَلَيَّ فِي أَنْفُسِكُمْ؟ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَالًا فَهَدَاكُمْ اللَّهُ، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمْ اللَّهُ، وَأَعْدَاءً فَآلَفَ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ قَالُوا: بَلَى، اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْنٌ وَأَفْضَلُ. ثُمَّ قَالَ: أَلَا تُحِبُّونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؟ قَالُوا: بِمَاذَا نُحِبُّكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ. قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَمَا وَاللَّهِ لَوْ شِئْتُمْ لَقَلْتُمْ، فَلصَدَقْتُمْ وَأَصْدَقْتُمْ: أَتَيْتَنَا مُكْذِبًا فَصَدَقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَأَوْيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَاسْتَيْنَاكَ أَوْجَدْتُمْ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِكُمْ فِي لِعَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا تَأَلَّفَتْ بِهَا قَوْمًا لِيُسَلِّمُوا، وَوَكَلْتُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ " (٣).

لقد ذكرهم بمن الله وفضله عليهم بداية وهم لم ينكروه ، بل كان إقرارهم به بألفاظ فيها خشوع وحسن أدب " بلى يا رسول الله ، الله ورسوله أمنٌ وأفضل " ثم كاشفهم صلى الله عليه وسلم بما قد يدور في نفوسهم فأوجز ما قد يخالج النفس الإنسانية في مثل تلك المواقف في جمل متوازية المباني بديعية التركيب؛ إذ قامت كل جملة على التضاد بما يكشف تبدل الحال " ...مكذباً فصدقناك ... " بيد أنهم بادروا بنفي أن يكون مثل ذلك دار بخلداهم ؛ بل أكدوا أن المنة والفضل لله ورسوله وأسندوا ما قيل إلى أناس حديثه أسنانهم - كما جاء في بعض الروايات - لقد هوّن من شأن ما عاد به المؤلفة قلوبهم فقال لهم : أَلَا تَرْضَوْنَ يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُوا بِرَسُولِ اللَّهِ إِلَى رِحَالِكُمْ؟" (٤) إنها مقالة كشفت وجهة نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إنها الموازنة البلاغية التي ضاءلت في عيونهم ما رآه بعضهم كثيراً من عرض الدنيا وجاء استخدام لفظ "لعاعة" ويقصد بها البقلة الخضراء الناعمة شبه بها رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا ونعيمها ويقصد بها التقليل من الأمر، وفي المقابل ذكرهم بما بقي في أيديهم لقد عادوا برسول الله صلى الله عليه وسلم وبما يحمله

(٣) ابن هشام - السيرة النبوية - ج ٤ ص ١٣٥٢ .

(٤) ابن هشام - السيرة النبوية - ج ٤ ص ١٣٥٢ .

لهم من إعزاز و بركات ودعوات : " فَوَ الَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا الْهَجْرَةُ لَكُنْتُ أَمْرًا مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا، لَسَلَكَتِ شِعْبَ الْأَنْصَارِ. اللَّهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ. وَأَبْنَاءَ أَنْبَاءِ الْأَنْصَارِ. قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهِمُ، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ قَسَمًا، وَحَظًّا. ثُمَّ أَنْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَفَرَّقُوا"<sup>(١)</sup> لقد اقترب الرسول صلى الله عليه وسلم من الجانب النفسي في الأنصار الذي هو محور العلاقات القائمة بينهم فبلغ الحوار غايته حين تبين لهم سر صنيعه وكشف لهم صحة القسمة. إن الثمار لا تكون مادية فحسب ، وهذا ما ينسأه كثير من الناس في حديثهم إلى الآخر .

ويعد الحوار التشاوري من سمات تعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع الآخر وكان له الأثر المثمر في حياة الأمة على مر العصور وقد لمسناه في أشد المواقف الحاسمة في حياة المسيرة الإسلامية فنجد التشاور في غزوة بدر غير سير المعركة " قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَحَدَّثْتُ عَنْ رَجَالٍ مِنْ بَنِي سَلَمَةَ، أَنَّهُمْ ذَكَرُوا: " أَنَّ الْحَبَابَ بْنَ الْمُنْذِرِ ابْنَ الْجُمُوحِ"<sup>(٢)</sup> قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَرَأَيْتَ هَذَا الْمَنْزِلَ، أَمْزَلًا أَنْزَلَكَ اللَّهُ لَيْسَ لَنَا أَنْ نَتَقَدَّمَهُ، وَلَا نَتَأَخَّرَ عَنْهُ، أَمْ هُوَ الرَّأْيِيُّ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟ قَالَ: بَلْ هُوَ الرَّأْيِيُّ وَالْحَرْبُ وَالْمَكِيدَةُ؟ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّ هَذَا لَيْسَ بِمَنْزِلٍ، فَانْهَضْ بِالنَّاسِ حَتَّى نَأْتِيَ أَدْنَى مَاءٍ مِنَ الْقَوْمِ، فَنَنْزِلُهُ، ثُمَّ نَعُورُ مَا وَرَاءَهُ مِنَ الْقَلْبِ، ثُمَّ نَبْنِي عَلَيْهِ حَوْضًا فَنَمْلُؤُهُ مَاءً، ثُمَّ نُقَاتِلُ الْقَوْمَ، فَنَشْرَبُ وَلَا يَشْرَبُونَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَقَدْ أَشْرَتَ بِالرَّأْيِيِّ"<sup>(٣)</sup> كما نجد الحوار التشاوري في موقف ازداد فيه الخلاف وتباينت فيه وجهات النظر ورأى الصحابة غير ما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذلك في صلح الحديبية ( سنة ٦ هـ) إذ

(١) ابن هشام - السيرة النبوية - ج ٤ ص ١٣٥٢.

(٢) الحباب بن المنذر بن الجموح بن زيد بن حرام بن كعب بن عنم بن كعب بن سلمة الأنصاري الخزرجي ثم السلمي قال : ابن سعد وغيره شهد بدرًا قال وكان يكنى أبا عمر... قال ابن سعد مات في خلافة عمر وقد زاد على الخمسين... ابن حجر العسقلاني - الإصابة في تمييز الصحابة ج/ ٢ ص ١٠ .

(٣) ابن هشام - السيرة النبوية - ج ٢ ص ٦٥٩ .

دعاهم بعد كتابة الصلح إلى التحلل من الإحرام فقال لهم " قوموا فانحروا ثم احلقوا - كرر ذلك ثلاثاً - فوجم جميعهم وما قام منهم أحد ، فدخل على زوجه أم سلمة وذكر لها ما لقي من الناس فقالت له : يا رسول الله أتحب ذلك؟ اخرج ولا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك فيحلقك ، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك ... فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضاً... " (٤) لقد حقق الحوار غايته رغم قصره ويبرز فيه جانب إسلامي عظيم يغفل عنه كثير من ذوي الرأي ؛ إن المستشارية في ذلك الموقف "أم سلمة" فلم ينكر رأيها ولم يهمله لكونها امرأة بل نفذ ما أشارت به معلماً من وظيفة المرأة ومؤصلاً لمبدأ الشورى بين الجميع رجال ونساء، ثم تظهر قيمة أخرى في حوار رسول الله صلى الله عليه وسلم إنه قابل صمت الصحابة بقطع الحوار والتفكير فيما هو مجد ، فلا مجال لديه في محاوره من بدا عليهم بوادى الرفض فحل محله ما هو أجدى وأنفع؛ فكانت حكمة الأعمال أبلغ من ضجيج الجدال، وهنا يتجسد عنصر آخر يعد من العوامل الأساسية لإنجاح الحوار ألا وهو استعداد الآخر لإدارته وقبول نتائجه، إن الإسلام لا يعرف ما اصطلاح على تسميته في عصرنا هذا " حوار الطرشان " وليس من أدبياته استجداء الآخر لقبول الحوار ، ولا يقر الضعة في قبول شروطه .

أما حوار الرسول صلى الله عليه وسلم مع المرأة فقد أضفى عليه سمات أخرى فكان مترفقاً معها مراعيًا لطبيعتها التي جبلها الله عليها فنراه متلطفاً بها في أدق موافقها ، من ذلك ما رواه ابن إسحاق قائلاً : " وَشَهِدَ حَبِيبٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نِسَاءً مِنْ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ ، فَرَضَّحَ لَهُنَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْفَيْءِ ، وَلَمْ يَضْرِبْ لَهُنَّ بِسَهْمٍ . قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ : حَدَّثَنِي سَالِمَانُ بْنُ سَحِيمٍ ، عَنْ أُمِّيَّةَ بِنِ أَبِي الصَّلْتِ ، عَنْ امْرَأَةٍ مِنْ بَنِي غِفَارٍ ، قَدْ سَمَّاهَا لِي ، قَالَتْ : أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي غِفَارٍ ، فَقُلْنَا :

(٤) الشيخ صفى الرحمن المباركفوري - الرحيق المختوم - ط - طبعة دار الوفاء ١٤١١هـ - ١٩٩١م - ص ٤٠٦ - عمرة الحديبية في ذي القعدة سنة ٦هـ .

يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ أَرَدْنَا أَنْ نَخْرُجَ مَعَكَ إِلَى وَجْهِكَ هَذَا، وَهُوَ يَسِيرُ إِلَى خَيْبَرَ، فَنَدَاوِي الْجَرْحَى، وَنُعِينُ الْمُسْلِمِينَ بِمَا اسْتَطَعْنَا؛ فَقَالَ: عَلَيَّ بَرَكَةَ اللَّهِ. قَالَتْ: فَخَرَجْنَا مَعَهُ، وَكُنْتُ جَارِيَةً حَدِيثَةً، فَأَرَدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى حَقِيْبَةِ رَحْلِهِ. قَالَتْ: فَوَاللَّهِ لَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى الصُّبْحِ وَأَنَاخَ، وَنَزَلْتُ عَنْ حَقِيْبَةِ رَحْلِهِ، وَإِذَا بِهَا دَمٌ مَنِّي، وَكَانَتْ أَوَّلَ حَيْضَةٍ حَضَّتْهَا، قَالَتْ: فَتَقَبَّضْتُ إِلَى النَّاقَةِ وَاسْتَحْيَيْتُ؛ فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا بِي وَرَأَى الدَّمَ، قَالَ: مَا لَكَ؟ لَعَلَّكَ نَفْسَتْ قَالَتْ: قُلْتُ: نَعَمْ؛ قَالَ: فَأَصْلِحِي مِنْ نَفْسِكَ، ثُمَّ خُذِي إِنَاءً مِنْ مَاءٍ، فَاطْرَحِي فِيهِ مِلْحًا، ثُمَّ اغْسِلِي بِهِ مَا أَصَابَ الْحَقِيْبَةَ مِنَ الدَّمِ، ثُمَّ عُوْدِي لِمَرْكَبِكَ، قَالَتْ: فَلَمَّا فَتَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَيْبَرَ، رَضَخَ لَنَا مِنَ الْفِيءِ وَأَخَذَ هَذِهِ الْقِلَادَةَ الَّتِي تَرَيْنَ فِي عُنُقِي فَأَعْطَانِيهَا، وَعَلَقَهَا بِيَدِهِ فِي عُنُقِي، فَوَاللَّهِ لَا تُفَارِقُنِي أَبَدًا. قَالَتْ: فَكَانَتْ فِي عُنُقِهَا حَتَّى مَاتَتْ، ثُمَّ أَوْصَتْ أَنْ تُدْفَنَ مَعَهَا. قَالَتْ: وَكَانَتْ لَا تَطَهَّرُ مِنْ حَيْضَةٍ إِلَّا جَعَلَتْ فِي طَهْوَرِهَا مِلْحًا، وَأَوْصَتْ بِهِ أَنْ يُجْعَلَ فِي غُسْلِهَا حِينَ مَاتَتْ<sup>(١)</sup>، لقد تفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عرض للصبية، وأدرك ما بها من حرج؛ أزاله عنها بلطف حديثه وجادة إرشاده، فعلمها ما تنتفع به المسلمات في طهورهن. ونراه صلى الله عليه وسلم لم يتأفف لما أصاب حقيْبته، ولم ينزلها عن منزلها الأول حتى لا تشعر بالضيق أو يزداد حرجها فقد أمرها أن تعود لمركبها، ثم هو صلى الله عليه وسلم بعد الغزو يعطيها من الفياء قلادة، ويلبسها إياها بيده الكريمة تقديراً لمجهودها الحربي، وليشبع بها رغبة

(١) ابن هشام - السيرة النبوية ج ٣ ص ١١٧٠، ١١٧١.

الصبية الحديثة في التجمل والتزين . إن هذا الموقف يعد نموذجاً لتعامل الرسول صلى الله عليه وسلم مع المرأة ويشي بطريقة التعامل المثلى مع شقيقة الرجال ؛ من خلال حوار هادئ ليس فيه تشنج أو افتعال ، ومن ناحية أخرى يؤصل لحق المرأة للمشاركة في النسيج الاجتماعي بالعمل البناء الفعال بمباركة من رسول الله صلى الله عليه وسلم - كما ورد في النص السابق - .

وفي موقف آخر مع ابنته زينب ما يدل على رفته معها وترفقه بها ومراعاته لمشاعرها؛ وذلك ما يرويه ابن إسحاق في الحديث عن أسرى بدرٍ قائلاً: "وَحَدَّثَنِي يَحْيَى بْنُ عَبْدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ أَبِيهِ عَبَادٍ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: لَمَّا بَعَثَ أَهْلُ مَكَّةَ فِي فِدَاءِ أُسْرَائِهِمْ، بَعَثَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي فِدَاءِ " أَبِي الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ " (٢) بِمَالٍ، وَبَعَثَتْ فِيهِ بِقِلَادَةَ لَهَا كَانَتْ خَدِيجَةُ أَدْخَلَتْهَا بِهَا عَلَى أَبِي الْعَاصِ حِينَ بَنَى عَلَيْهَا، قَالَتْ: فَلَمَّا رَأَاهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَقَّ لَهَا رَقَّةً شَدِيدَةً وَقَالَ: إِنَّ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطَلِّقُوا لَهَا أَسِيرَهَا، وَتَرُدُّوا عَلَيْهَا مَالَهَا، فَافْعَلُوا فَقَالُوا: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَاطْلُقُوهُ، وَرَدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا " (٣) . هذا فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ابنته المسلمة التي أرادت أن تفتدى زوجها الكافر ، لقد قدر الرسول صلى الله عليه وسلم تلك العاطفة تجاه الزوج ؛ وظهر ذلك في عرضه الاستشاري مع

(٢) أبو العاص بن الربيع بن عبد العزى بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي القرشي العشمي صهر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وزوج ابنته زينب أكبر بناته كان يعرف بجرو البطحاء هو وأخوه... ابن عبد البر - الاستيعاب في معرفة الأصحاب - تحقيق علي محمد الجاوي - دار الجيل - بيروت - ط/١ - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م - ج ٤ ص ١٧٠١ .

(٣) ابن هشام - السيرة النبوية ج ٢ ص ٦٩٤ .

الصحابة في أمر إخلاء سبيل الزوج ورد مال الفداء لها ، وما كان من الصحابة إلا أن حققوا رغبتهم صلى الله عليه وسلم ، هذا موقف الرسول مع زوجة مسلمة وزوجها الكافر ، فماذا لو قارناه بما نراه هذه الأيام من عصبية في المصاهرات تحول بين المسلم والمسلمة لأسباب اجتماعية أو قبلية ؟ .

لقد بلغ هذا الموقف الإنساني من الرسول صلى الله عليه وسلم غايته ، وبلغ مأربه ؛ وهو ما يكشفه حوار آخر للقضية نفسها ، فبعد أن أقامت زينب رضي الله عنها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة وظل زوجها بمكة خرج للتجارة بالشام بأموال له وقريش فلما فرغ من تجارته وأراد العودة إلى مكة أصابت سرية من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ما معه وفر هارباً ، ودخل على بيت زينب رضي الله عنها مستجيراً ، فأجارته ، وجاء يطلب ماله ، فلما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لصلاة الصبح - كما حدث سعيد بن ورمان - " فَكَبَّرَ وَكَبَّرَ النَّاسُ مَعَهُ ، صَرَخَتْ زَيْنَبُ مِنْ صُفَّةِ النِّسَاءِ : أَيُّهَا النَّاسُ ، إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ أَبَا الْعَاصِ بْنِ الرَّبِيعِ ، قَالَ : فَلَمَّا سَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الصَّلَاةِ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ ، فَقَالَ : أَيُّهَا النَّاسُ ، هَلْ سَمِعْتُمْ مَا سَمِعْتُ ؟ قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا عَلِمْتُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِكَ حَتَّى سَمِعْتُ مَا سَمِعْتُمْ ، إِنَّهُ يُجِيرُ عَلَيَّ الْمُسْلِمِينَ أَدْنَاهُمْ . ثُمَّ أَنْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَدَخَلَ عَلَى ابْنَتِهِ ، فَقَالَ : أَيُّ بُنَيَّةٍ ، أَكْرَمِي مَثْوَاهُ ، وَلَا يَخْلُصَنَّ إِلَيْكَ ، فَإِنَّكَ لَا تَحْلِينَ لَهُ " (١) ، لقد تعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخبر وتفاجأ بصنيع ابنته ورغم ذلك لم ينكره

عليها ، بل نراه يدخل عليها مترفقاً بها يبدو ذلك في نداءه " أي بنية " ثم هو يطمئننها بإقرار إجارتها لزوجها ويأمرها بحسن ضيافته منبهاً إياها بتلميح رقيق رفيع بحرمة الخلوة الزوجية به - إذ لا يزال على كفره - كما أنه صلى الله عليه وسلم يعينها ويناصرها في إجارتها له فقد بعث إلى السرية التي أصابت مال أبي العاص قائلاً " إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ مَنَا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ ، وَقَدْ أَصَبْتُمْ لَهُ مَالاً ، فَإِنْ تَحْسُنُوا وَتَرُدُّوا عَلَيْهِ الَّذِي لَهُ ، فَإِنَّا نَحِبُّ ذَلِكَ ، وَإِنْ أَيْبَيْتُمْ فَهُوَ فِيَّ اللَّهُ الَّذِي أَفَاءَ عَلَيْكُمْ ، فَأَنْتُمْ أَحَقُّ بِهِ ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، بَلْ نَرُدُّهُ عَلَيْهِ ، فَرُدُّوهُ عَلَيْهِ ، حَتَّىٰ إِنْ الرَّجُلَ لِيَأْتِيَ بِالْدَّلُو ، وَيَأْتِيَ الرَّجُلَ بِالشَّنَةِ <sup>(٢)</sup> وَبِالإِدَاوَةِ <sup>(٣)</sup> ، حَتَّىٰ إِنْ أَحَدُهُمْ لِيَأْتِيَ بِالشُّطَاظِ <sup>(٤)</sup> ، حَتَّىٰ رَدُّوا عَلَيْهِ مَالَهُ بِأَسْرِهِ ، لَا يَفْقِدُ مِنْهُ شَيْئاً " <sup>(٥)</sup> إنها صورة أخرى للحوار التشاوري فمن حق المسلمين أن يحتفظوا بغنيمتهم ، أو يجيبوا الطلب ، لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم استخدم لفظاً من شأنه أن يرجح الأخرى " نحب " وإذا بالسرية تأبى إلا أن تحقق ما يحبه صلى الله عليه وسلم فقالوا " بل نرده عليه " لقد عاد أبو العاص إلى مكة بعد تحرير تجارته وأعاد لكل ذي مال ماله من قريش " ثُمَّ قَالَ : يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ، هَلْ بَقِيَ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ عِنْدِي مَالٌ لَمْ يَأْخُذْهُ ؛ قَالُوا : لَا . فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا ، فَقَدْ وَجَدْنَاكَ وَفِيًّا كَرِيمًا قَالَ : فَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، وَاللَّهُ مَا مَنَعَنِي مِنَ الإِسْلَامِ عِنْدَهُ إِلَّا تَخَوُّفٌ أَنْ تَظُنُّوا أَنِّي إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ أَكُلَ أَمْوَالَكُمْ ، فَلَمَّا آدَاهَا اللَّهُ إِلَيْكُمْ وَفَرَعْتُ

(٢) الشنة : السقاء البالي .

(٣) الإداوة : المطهرة التي يتوضأ بها .

(٤) الشطاط : عود يشد به فم الغرارة .

(٥) ابن هشام - السيرة النبوية - ج٢ - ٧٠٠ .

مِنْهَا أَسْلَمْتُ" (١) فهذه ثمار التروي في الأمر والتلطف في حوار ظهر فيه مراعاة مشاعر المرأة، فلم تكره على التخلي عن جبلتها التي خلقها الله عليها - بما لا يخالف مبادئ الشرع الحنيف - لقد أسلم أبو العاص وعادت الحياة الزوجية بين زوجين متحابين ثانية ، ولكن في حظيرة الإسلام .

لم يكن الترفق في القول مع المرأة المسلمة فحسب بل نراه مع غير المسلمة أيضاً فقد كانت سفانة بنت حاتم الطائي ضمن أسيرات " وَكَانَتْ امْرَأَةً جَزَلَةً، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلَكَ الْوَالِدُ، وَغَابَ الْوَالِدُ فَأَمَّنْ عَلَيَّ مِنْ اللَّهِ عَلَيْكَ. قَالَ: وَمَنْ وَأَفْدُكَ؟ قَالَتْ: عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ. قَالَ: الْفَارُّ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ؟ قَالَتْ: ثُمَّ مَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَتَرَكَنِي، حَتَّى إِذَا كَانَ مِنَ الْغَدِ مَرَّ بِي، فَقُلْتُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ، وَقَالَ لِي مِثْلَ مَا قَالَ بِالْأَمْسِ. قَالَتْ: حَتَّى إِذَا كَانَ بَعْدَ الْغَدِ مَرَّ بِي وَقَدْ يَعْسُتُ مِنْهُ، فَأَشَارَ إِلَيَّ رَجُلٌ مِنْ خَلْفِهِ أَنْ قَوْمِي فَكَلَّمِيهِ؛ قَالَتْ: فَقَمْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلَكَ الْوَالِدُ، وَغَابَ الْوَالِدُ، فَأَمَّنْ عَلَيَّ مِنَ اللَّهِ عَلَيْكَ؛ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ فَعَلْتُ، فَلَا تَعْجَلِي بِخُرُوجِ حَتَّى تَجِدِي مِنْ قَوْمِكَ مَنْ يَكُونُ لَكَ ثِقَةً، حَتَّى يُبَلِّغَكَ إِلَى بِلَادِكَ، ثُمَّ أَدْنِينِي. فَسَأَلْتُ عَنِ الرَّجُلِ الَّذِي أَشَارَ إِلَيَّ أَنْ أَكَلَّمَهُ، فَقِيلَ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِ، وَأَقَمْتُ حَتَّى قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَلِيٍّ أَوْ قِضَاعَةَ، قَالَتْ: وَإِنَّمَا أُرِيدُ أَنْ آتِيَ أَخِي بِالشَّامِ. قَالَتْ: فَجِئْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ قَدِمَ رَهْطٌ مِنْ قَوْمِي، لِي فِيهِمْ ثِقَةٌ وَبِلَاغٌ، قَالَتْ: فَكَسَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحَمَلَنِي، وَأَعْطَانِي نَفَقَةً، فَخَرَجْتُ



مَعَهُمْ حَتَّى قَدِمْتُ الشَّامَ<sup>(٢)</sup> لقد ترفق صلى الله عليه وسلم بالمرأة الأسيرة وقدّر مكانها لما عرف من فضل وكرم لأبيها فحقق رغبتها بإطلاقها؛ بل حرص على تأمين ركبها بالاطمئنان إلى من يصحبها في رحلة عودتها تمثيلاً مع تعاليم الدين الحنيف، لم يكن ذلك فحسب بل كساها وحملها من الأعطيات والنفقات في رحلتها إلى الشام، فدفعها ذلك إلى تشجيع أخيها "عدي" للقدوم إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في المدينة، حيث أعلن إسلامه، ومما يشار إليه هنا أيضاً أهمية تنمية مهارات التخاطب عند المرأة؛ فقد أشارت الروايات إلى جزالة خطاب سفانة، فكان لحسن خطابها ونجاحها في التعبير عن رغبتها أثر في بلوغ غايتها. إن حسن الخطاب من آداب الإسلام الرفيعة .

الباحث في حوار رسول الله صلى الله عليه وسلم يجده يحمل معيناً لا ينضب من الآداب التي يتعين على المسلم الاسترشاد بها ليقترّب من الصورة المثلى لما يجب أن يكون عليه الحوار؛ بما اتسمت به أنماطه من دقة وجزالة وإيجاز كما أنه حوار هادف محدد الخطوات؛ يصل بلطف إلى غايته المنشودة، فليس هو ثرثرة إعلامية ولا استنفاذاً لجهود الآخر من غير طائل؛ ولا يحمل في طياته عكس ما هو ظاهر؛ فغاياته واضحة مباشرة؛ إنه في مجمله حوار يدعو إلى الرحمة الإنسانية والرفق والتواصل مع الجميع لتحقيق المصالح العامة، ودفع المفساد المنتظرة، حتى نصل إلى الغاية الأسمى في الحياة؛ وهي عبادة الله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} <sup>(٣)</sup>.

(٢) ابن هشام- السيرة النبوية ج ٤ ص ١٤٣٤ .

(٣) الذاريات، الآية : ٥٦ .



## الخاتمة

## الخاتمة

من خلال استعراض نماذج من حوار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يتكشف لنا تشعبها في مواطن شتى، وتنوع محاورها، مع اختلاف مشارب الطرف الآخر - أقصد المتلقي - ورغم ذلك تحتفظ بخط واحد يربط مواقفها المتنوعة، إنه جدية المقصد والرغبة في الوصول إلى نتائج ملموسة تخدم المجتمع الإسلامي على مر العصور، ثم الحرص على استيعاب الآخر لضمان التعايش السلمي مع الأطياف كافة، إنه حوار يخلو من السفسطة الفكرية، والتعقيدات اللفظية، والرؤية العنصرية؛ إنه الحديث الهادئ البناء في أسلوب راقٍ، وتركيب بديع، يسير باتجاه تحقيق الأهداف وبلوغ الغاية السامية التي ينشدها ديننا الحنيف، فكان أحد وسائل تبليغ رسالة الإسلام السمحة إلى البشرية، وقد قصدت الدراسة إلى رصد بعض سمات حوار صلى الله عليه وسلم، منها:

- أنه - صلى الله عليه وسلم - عمد إلى قليل لفظ في دعوة سامية إلى الإسلام؛ أو في رد موجز مؤثر.
  - ونراه يخاطب العقل وينفذ إلى أغوار النفس الإنسانية؛ فحواره عميق يرسخ في الوجدان.
  - ثم هو يحرص على تقريب الآخر، وإيجاد مواطن تلاقٍ حتى يكون الحوار مثمرًا بناءً، كما أنه نبذ العصبية والعنصرية تطبيقاً لمبادئ الإسلام.
  - وفي إطار الحرص على الوحدة الداخلية للمجتمع المسلم نراه يعلي مبدأ الشورى ويعتمدها أساساً في عقد المعاهدات مع الآخر؛ بما يحفظ السلم الاجتماعي.
  - ونلمس موقفه الإنسانية مع المرأة فقد راعى فطرتها التي جبلها الله عليها وقدرَ مواقفها الخاصة.
  - إنه الحوار الحضاري الفعّال بلا تكلف؛ إنه بلاغة القول وبلوغ الأهداف السامية الرفيعة التي دعانا إليها ديننا الحنيف.
- صلى الله عليك وعلى ذريتك وبارك يا سيدي يا رسول الله.



## قواعد النشر في السلسلة

١. أن يكون الكتاب معنياً بإشاعة ثقافة الحوار، محققاً لأهداف المركز وتطلعاته.
٢. أن يتسم بالجددة والأصالة.
٣. أن يتبع المؤلف أسس المناهج العلمية توثيقاً وصياغة.
٤. تخضع جميع البحوث المقدمة لهيئة تحرير السلسلة للتدقيق والمراجعة.
٥. ألا يكون قد سبق نشره في مكان آخر.
٦. أن يكون الكتاب ذا صلة بالواقع والأحداث المعاصرة.
٧. يتراوح الكتاب من ٥٠٠٠ إلى ٧٠٠٠ كلمة.
٨. يقدم المؤلف ثلاث نسخ مطبوعة من كتابه ونسخة إلكترونية على قرص (CD)، وملخص وجيز في حدود ثلاث صفحات.
٩. إرفاق سيرة ذاتية للمؤلف.
١٠. يتم إحالة البحث إلى فاحصين لإجازة البحث قبل نشره.
١١. يمنح المؤلف مكافأة مالية، إذا أجاز للنشر مع (١٠٠) نسخة من كتابه.
١٢. المكاتبات توجه إلى أمين هيئة تحرير سلسلة رسائل في الحوار،  
عبر البريد الإلكتروني: (rs@kacnd.org)  
فاكس: ٢٦٦٥٧٧٨ ٩٦٦ ١١ + هاتف: ٢٦٦٥٧٧٧ ٩٦٦ ١١ +  
ص.ب: ٨٩٨٦٦، الرياض: ١١٦٩٢





## مركز الملك عبدالعزيز للحوار الوطني

ص.ب. 89866 الرياض 11692  
المملكة العربية السعودية  
P.O. Box 89866 Riyadh 11692,  
Kingdom of Saudi Arabia



+966 11 2665777



+966 11 2665778



info@kacnd.org



www.kacnd.org